حديث القرآن عن

بُغاة الفتنَة والمفسدين في الأرضْ

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

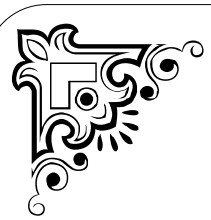

مُهِمَّةُ إِعْمَارِ الْأَرْضِ

فَإِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَكَرَّمَهُ، وَسَخَّرَ لَهُ مَا خَلَقَهُ، وَأَنَاطَ بِهِ مُهِمَّةَ عِمَارَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَخْلَفَهُ فِيهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ هُوَ آدَمُ وَبَنُو آدَمَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أَيْ: جَعَلَكُمْ فِيهَا لِتَعْمُرُوهَا، وَمَكَّنَكُمْ بِمَا آتَاكُمْ مِنْ عِمَارَتِهَا.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وَهَذَا التَّسْخِيرُ يَحْمِلُ فِي طِيَّاتِهِ كُلَّ مَظَاهِرِ التَّكْرِيمِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْأَرْضِ لِعِمَارَتِهَا، وَعِمَارَتُهَا بِعِبَادَةِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا، وَبِالْقِيَامِ عَلَىٰ مَا يُصْلِحُهَا.

وَقَدْ زَوَّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذَا الْإِنْسَانَ بِكُلِّ وَسَائِلِ الِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَسَلَّحَهُ بِكُلِّ أَدَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ قِيَادَةِ دِفَّةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَإِدَارَةِ دَوَالِيبِ الْعَمَلِ فِيهَا، وَلِكَيْ لَا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَىٰ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلَ

عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ فِيهَا الشَّرَائِعُ وَالْحَقُّ الْمُبِينُ، وَعَلَّمَهُمْ أُصُولَ التَّعَايُشِ وَمَبَادِئَ التَّعَامُلِ، وَلَفَتَ أَنْظَارَهُمْ إِلَىٰ ضَرُورَةِ الِالْتِزَامِ بِآدَابِ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ، وَلَم يُبِحْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ طَائِعًا مُخْتَارًا، وَأَشْعَرَهُمْ عِظَمَ الْمَسْؤُولِيَّةِ عَنِ الْإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ، فَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].(*).

«أَخْبَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ امْتَنَّ عَلَىٰ عَبِيدِهِ فِيمَا مَكَّنَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَنَازِلَ وَبُيُوتًا، وَأَبَاحَ مَنَافِعَهَا، وَسَخَّرَ لَهُمُ السَّحَابَ لِإِخْرَاجِ أَرْزَاقِهِمْ مِنْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، أَيْ: مَكَاسِبَ وَأَسْبَابًا يَتَّجِرُونَ فِيهَا، وَيَتَسَبَّبُونَ أَنْوَاعَ الْأَسْبَابِ، وَأَكْثَرُهُمْ مَعَ هَذَا قَلِيلُ الشُّكْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٤]»(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ- مُمْتَنًّا عَلَىٰ عِبَادِهِ بِذِكْرِ الْمَسْكَنِ وَالْمَعِيشَةِ: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أَيْ: هَيَّأْنَاهَا لَكُمْ؛ بِحَيْثُ تَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٢١-١-٢٠١١م.

(٢) بتصرف يسير من «**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (٣/ ٣٩٠) ط. دار طيبة.

وَحَرْثِهَا، وَوُجُوهِ الِانْتِفَاعِ بِهَا، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ، وَمَعَادِنِ الْأَرْضِ، وَأَنْوَاعِ الصَّنَائِعِ وَالتِّجَارَاتِ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي هَيَّأَهَا، وَسَخَّرَ أَسْبَابَهَا.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، وَصَرَفَ عَنْكُمُ النِّقَمَ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ١٩- ٢٢].

«﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أَيْ: وَسَّعْنَاهَا سَعَةً يَتَمَكَّنُ الْآدَمِيُّونَ وَالْحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا مِنَ الِامْتِدَادِ بِأَرْجَائِهَا، وَالتَّنَاوُلِ مِنْ أَرْزَاقِهَا، وَالسُّكُونِ فِي نَوَاحِيهَا.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أَيْ: جِبَالًا عِظَامًا تَحْفَظُ الْأَرْضَ -بِإِذْنِ اللهِ- أَنْ تَمِيدَ، وَتُثَبِّتَهَا أَنْ تَزُولَ.

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أَيْ: نَافِعٍ مُتَقَوِّمٍ، يَضْطَرُّ إِلَيْهِ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ مَا بَيْنَ نَخِيلٍ، وَأَعْنَابٍ، وَأَصْنَافِ الْأَشْجَارِ، وَأَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ مِنَ الْحَرْثِ، وَمِنَ الْمَاشِيَةِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالْحِرَفِ.

---

(١) «**تفسير السعدي**» (ص٢٨٤) ط. مؤسسة الرسالة.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أَيْ: أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِعَبِيدٍ وَإِمَاءٍ، وَأَنْعَامٍ لِنَفْعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ رِزْقُهَا، بَلْ خَوَّلَكُمُ اللهُ إِيَّاهَا، وَتَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِهَا.

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أَيْ: جَمِيعُ الْأَرْزَاقِ وَأَصْنَافِ الْأَقْدَارِ لَا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، فَخَزَائِنُهَا بِيَدِهِ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ أَيْ: الْمُقَدَّرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ مِنْ مَطَرٍ وَغَيْرِهِ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، فَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ مَا قَدَّرَهُ اللهُ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ»(١).

وَلَمَّا كَانَتْ حَاجَةُ الْبَشَرِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْحَاجَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَحْدَهَا؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ وَهَبَ عِبَادَهُ مَنَاهِجَ يَتَحَقَّقُ بِهَا لَهُمْ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَوَعَدَهُمْ -إِنْ هُمُ اتَّبَعُوا مَنْهَجَهُ- بِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ أَمَرَ آدَمَ وَإِبْلِيسَ أَنْ يَهْبِطَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَأَنْ يَتَّخِذُوا الشَّيْطَانَ عَدُوًّا لَهُمْ، فَيَأْخُذُوا الْحَذَرَ مِنْهُ، وَيَعُدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، وَيُحَارِبُوهُ، وَأَنَّهُ سَيُنْزِلُ عَلَيْهِمْ كُتُبًا، وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا يُبَيِّنُونَ لَهُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُبِينِ، وَأَنَّهُمْ أَيَّ وَقْتٍ جَاءَهُمْ ذَلِكَ الْهُدَىٰ

(١) «**تفسير السعدي**» (ص٤٣٠) ط. مؤسسة الرسالة.

الَّذِي هُوَ الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ؛ فَإِنَّ مَنِ اتَّبَعَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَاجْتَنَبَ مَا نُهِيَ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَشْقَىٰ فِيهِمَا، بَلْ قَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ السَّعَادَةُ وَالْأَمْنُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ نَفَىٰ عَنْهُ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٣٨].

وَاتِّبَاعُ الْهُدَىٰ بِتَصْدِيقِ الْخَبَرِ، وَعَدَمِ مُعَارَضَتِهِ بِالشُّبَهِ، وَامْتِثَالِ الْأَمْرِ بِأَلَّا يُعَارِضَهُ بِشَهْوَةٍ»(١).

الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ بُعِثُوا بِالْإِصْلَاحِ وَالصَّلَاحِ، وَنَهَوْا عَنِ الشُّرُورِ وَالْفَسَادِ؛ فَكُلُّ صَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ دِينِيٍّ وَدُنْيَوِيٍّ فَهُوَ مِنْ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ؛ وَخُصُوصًا إِمَامَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَإِنَّهُ أَبْدَىٰ وَأَعَادَ فِي هَذَا الْأَصْلِ، وَوَضَعَ لِلْخَلْقِ الْأُصُولَ النَّافِعَةَ الَّتِي يَجْرُونَ عَلَيْهَا فِي الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، كَمَا وَضَعَ لَهُمُ الْأُصُولَ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ.(*).

❊❊❊

(١) «**تفسير السعدي**» (ص٥١٥) ط. مؤسسة الرسالة.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ)، الْأَحَدُ ١ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٦-١٠-٢٠١٣م.

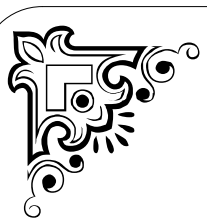
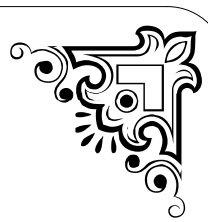

نَهْيُ الْقُرْآنِ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ

لَقَدْ أَمَرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **-وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ:** ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]- **أَنْ نُحَافِظَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ بِبَقَاءِ الصَّلَاحِ فِيهَا، وَأَنْ نَمْنَعَ الْفَسَادَ عَنْهَا، وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِإِفْسَادِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْجَوِّ بِالْأَوْبِئَةِ، وَإِفْسَادِ الْأَحْيَاءِ وَالنَّبَاتَاتِ، وَإِفْسَادِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَسُلُوكِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَمَفَاهِيمِهِمْ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- بِبِعْثَةِ الرُّسُلِ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ، ذَلِكُمُ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ.(*).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْهَىٰ -تَعَالَىٰ- عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا أَضَرَّهُ بَعْدَ الْإِصْلَاحِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْأُمُورُ مُسَدَّدَةً، ثُمَّ وَقَعَ الْإِفْسَادُ؛ كَانَ أَضَرَّ مَا يَكُونُ عَلَىٰ الْعِبَادِ، فَنَهَىٰ -تَعَالَىٰ- عَنْ ذَلِكَ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأعراف: ٨٥].

(٢) بتصرف من: «**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (٣/ ٤٢٩) ط. دار طيبة.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَهَىٰ ﷻ عَنْ كُلِّ فَسَادٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ بَعْدَ صَلَاحٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، فَهُوَ عَلَىٰ الْعُمُومِ -عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ-»(١).(*).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]: «قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: لَا تُفْسِدُوا فِيهَا بِالْمَعَاصِي، وَالدُّعَاءِ إِلَىٰ غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ بَعْدَ إِصْلَاحِ اللهِ لَهَا بِبَعْثِ الرُّسُلِ، وَبَيَانِ الشَّرِيعَةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَالشِّرْكَ بِهِ هُوَ أَعْظَمُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ بَلْ فَسَادُ الْأَرْضِ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالشِّرْكِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ -تَعَالَىٰ-.

فَالشِّرْكُ وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَإِقَامَةُ مَعْبُودٍ غَيْرَهُ، وَمُطَاعٍ مُتَّبَعٍ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ أَعْظَمُ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا وَلَا لِأَهْلِهَا إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودَ الْمُطَاعَ، وَتَكُونَ الدَّعْوَةُ لَهُ، لَا لِغَيْرِهِ، وَالطَّاعَةُ وَالِاتِّبَاعُ لِرَسُولِهِ، لَيْسَ إِلَّا، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُ إِذَا أَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَتِهِ، وَخِلَافِ شَرِيعَتِهِ؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَمَنْ تَدَبَّرَ أَخْبَارَ الْعَالَمِ؛ وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ سَبَبُهُ تَوْحِيدُ اللهِ، وَعِبَادَتُهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ، وَفِتْنَةٍ، وَبَلَاءٍ، وَقَحْطٍ، وَتَسْلِيطِ عَدُوٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ رَسُولِهِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ»(٣).(*/٢).

---

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**» للقرطبي (٧/ ٢٢٦) ط. دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِرْهَابُ وَالْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ١٤-٧-٢٠١٧م.

(٣) «**بدائع الفوائد**» للإمام ابن القيم (٣/ ١٤ والتي بعدها) ط. دار الكتاب العربي.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢- ٥- ٢٠١٥م.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

وَلَا تَتَمَادَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بِأَعْمَالِكُمُ الْإِجْرَامِيَّةِ الظَّالِمَةِ، وَمَنْعِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَىٰ الْمُسَافِرِينَ.(*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

«﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ أَيْ: يَجْتَهِدُ عَلَىٰ أَعْمَالِ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ، وَيُهْلِكُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، فَالزُّرُوعُ وَالثِّمَارُ وَالْمَوَاشِي تَتْلَفُ، وَتَنْقُصُ، وَتَقِلُّ بَرَكَتُهَا بِسَبَبِ الْعَمَلِ فِي الْمَعَاصِي، وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا كَانَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ؛ فَهُوَ يُبْغِضُ الْعَبْدَ الْمُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ غَايَةَ الْبُغْضِ؛ وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ قَوْلًا حَسَنًا»(٢).

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أَيْ: هُوَ أَعْوَجُ الْمَقَالِ، سَيِّئُ الْفِعَالِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ وَهَذَا فِعْلُهُ، كَلَامُهُ كَذِبٌ، وَاعْتِقَادُهُ فَاسِدٌ، وَأَفْعَالُهُ قَبِيحَةٌ.

فَهَذَا الْمُنَافِقُ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَإِهْلَاكَ الْحَرْثِ -وَهُوَ: مَحَلُّ نَمَاءِ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ-، وَالنَّسْلِ -وَهُوَ: نِتَاجُ الْحَيَوَانَاتِ- اللَّذَيْنَ لَا قِوَامَ لِلنَّاسِ إِلَّا بِهِمَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [هود: ٨٥].

(٢) «**تفسير السعدي**» (ص٩٣) ط. مؤسسة الرسالة.

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا؛ مَنَعَ اللهُ الْقَطْرَ، فَهَلَكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ».

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أَيْ: لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَلَا مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ ذَلِكَ.(*).

أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ نَعِيمَ الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ تَكَبُّرًا عَنِ الْحَقِّ فِي الْأَرْضِ، وَتَجَبُّرًا عَنْهُ، وَلَا فَسَادًا، وَلَا ظُلْمَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَعَمَلًا بِمَعَاصِي اللهِ فِيهَا(*/٢)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

تِلْكَ الْجَنَّةُ الْبَعِيدَةُ الْمَكَانِ وَالْمَكَانَةِ، الْمُرْتَفِعَةُ الْمَنْزِلَةِ نَجْعَلُ نَعِيمَهَا مُسْتَقْبَلًا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْإِيمَانِ، وَلَا اسْتِطَالَةً عَلَىٰ النَّاسِ بِتَحْقِيقِ حُظُوظِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَيَنْشُرُونَ الْفَاحِشَةَ، وَيَطْرَحُونَ الشُّبُهَاتِ، وَيُفْسِدُونَ الْأَخْلَاقَ وَالْقِيَمَ وَالْآدَابَ، وَالْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ الْمَحْمُودَةُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ لِمَنِ اتَّقَىٰ عِقَابَ اللهِ بِأَدَاءِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.(*/٣).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)، (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ)، السَّبْتُ ١٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٨هـ| ١٩-١١-٢٠١٦م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٣٧).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [القصص: ٨٣].

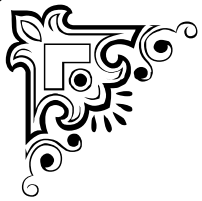
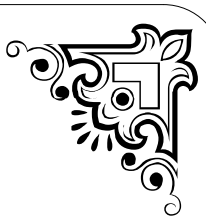

مَعْنَى الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ

الْفَسَادُ: مَصْدَرُ فَسَدَ يَفْسُدُ فَسَادًا، وَهُوَ ضِدُّ الْإِصْلَاحِ.

فَسَدَ الشَّيْءُ: يَفْسُدُ فَسَادًا، وَهُوَ فَاسِدٌ وَفَسِيدٌ(١).

قَالَ اللَّيْثُ: «الْفَسَادُ نَقِيضُ الصَّلَاحِ، وَالْفِعْلُ فَسَدَ يَفْسُدُ فَسَادًا، وَلُغَةٌ أُخْرَىٰ: فَسَدَ فُسُودًا»(٢)، «وَاسْتَفْسَدَ السُّلْطَانُ قَائِدَهُ: إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ اسْتَعْصَىٰ عَلَيْهِ»(٣).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤) فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]: «اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الإِفْسَادِ الَّذِي أَضَافَهُ اللهُ ﷻ إِلَىٰ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ مَا قُلْنَا فِيهِ مِنْ قَطْعِهِ الطَّرِيقَ، وَإِخَافَتِهِ السَّبِيلَ.

وَقَالَ بَعْضُهُم: بَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: قَطْعُ الرَّحِمِ، وَسَفْكُ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَد يَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ جَمِيعُ الْمَعَاصِي؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ وَصْفَهُ بِبَعْضِ مَعَانِي الْإِفْسَادِ دُونَ بَعْضٍ».

---

(١) «مقاييس اللغة» (٤/ ٥٠٣)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٣٥).

(٢) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٥٧)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٣٥).

(٣) «لسان العرب» (٣/ ٣٣٥).

(٤) «جامع البيان» (٤/ ٢٣٨ - ٢٣٩).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

«**قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ**(٢): الْفَسَادُ هُوَ الْخَرَابُ، وَالْآيَةُ بِعُمُومِهَا تَضُمُّ كُلَّ فَسَادٍ فِي أَرْضٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ دِينٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ».

قِيلَ: مَعْنَىٰ ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أَيْ: لَا يُحِبُّهُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ، أَوْ لَا يُحِبُّهُ دِينًا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ: لَا يَأْمُرُ بِهِ».

وَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ الْفَسَادِ بِمُشْتَقَّاتِهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ مَعَانٍ، مِنْهَا: الْمَعْصِيَةُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].

وَمِنْهَا: الْهَلَاكُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وَمِنْهَا: الْخَرَابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤].

وَمِنْهَا: الْمُنْكَرُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

وَمِنْهَا: السِّحْرُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].(*).

---

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**» (٣/ ١٨).

(٢) هو العباس بن الفضل بن شاذان الرازي المقرئ المفسر المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، «**تاريخ الإسلام**» للذهبي (٧/ ترجمة ٤٦٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢- ٥- ٢٠١٥م.

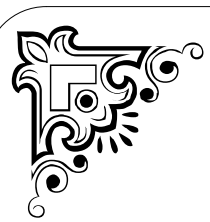
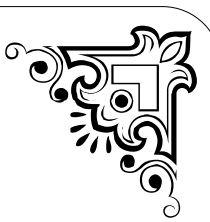

نَمَاذِجُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ

لَقَدْ سَاقَ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَمْثِلَةً وَنَمَاذِجَ لِأُنَاسٍ خَالَفُوا مَنْهَجَ اللهِ، فَوَصَفَهُمْ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ: فِرْعَوْنُ، يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْهُ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَجُنُودِهِ وَجَبَرُوتِهِ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْعُلُوِّ فِيهَا، لَا مِنَ الْأَعْلَيْنَ فِيهَا، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أَيْ: طَوَائِفَ مُتَفَرِّقَةً، يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِشَهْوَتِهِ، وَيُنَفِّذُ فِيهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ قَهْرِهِ وَسَطْوَتِهِ، ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾: وَتِلْكَ الطَّائِفَةُ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللهُ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكْرِمَهُمْ وَيُجِلَّهُمْ؛ وَلَكِنَّهُ اسْتَضْعَفَهُمْ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ رَأَىٰ أَنَّهُمْ لَا مَنَعَةَ لَهُمْ تَمْنَعُهُمْ مِمَّا أَرَادَهُ فِيهِمْ، فَصَارَ لَا يُبَالِي بِهِمْ، وَلَا يَهْتَمُّ بِشَأْنِهِمْ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ إِلَىٰ أَنَّهُ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكْثُرُوا، فَيَغْمُرُوهُ فِي بِلَادِهِ، وَيَصِيرَ لَهُمُ الْمُلْكُ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الَّذِينَ لَا قَصْدَ لَهُمْ فِي صَلَاحِ الدِّينِ، وَلَا صَلَاحِ الدُّنْيَا، وَهَذَا مِنْ إِفْسَادِهِ فِي الْأَرْضِ.(*).

وَيَقُولُ -تَعَالَىٰ- فِي حَقِّ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

يَقُولُ تَعَالَىٰ: أَلَمْ تَرَ بِقَلْبِكَ وَبَصِيرَتِكَ كَيْفَ فَعَلَ بِهَذِهِ الْأُمَمِ الطَّاغِيَةِ، وَهِيَ إِرَمُ: الْقَبِيلَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي الْيَمَنِ ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أَيِ: الْقُوَّةِ الشَّدِيدَةِ، وَالْعُتُوِّ وَالتَّجَبُّرِ، ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ أَيْ: فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، كَمَا قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ هُودٌ عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أَيْ: وَادِي الْقُرَىٰ، نَحَتُوا بِقُوَّتِهِمِ الصُّخُورَ، فَاتَّخَذُوهَا مَسَاكِنَ، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ أَيْ: ذِي الْجُنُودِ الَّذِينَ ثَبَّتُوا مُلْكَهُ كَمَا تُثَبِّتُ الْأَوْتَادُ مَا يُرَادُ إِمْسَاكُهُ بِهَا، ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ هَذَا الْوَصْفُ عَائِدٌ إِلَىٰ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ طَغَوْا فِي بِلَادِ اللهِ، وَآذَوْا عِبَادَ اللهِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: وَهُوَ الْعَمَلُ بِالْكُفْرِ وَشُعَبِهِ مِنْ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْمَعَاصِي، وَسَعَوْا فِي مُحَارَبَةِ الرُّسُلِ، وَصَدِّ النَّاسِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تفسير السعدي» (ص٦١١).

عَنْ سَبِيلِ اللهِ، فَلَمَّا بَلَغُوا مِنَ الْعُتُوِّ مَا هُوَ مُوجِبٌ لِهَلَاكِهِمْ؛ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِهِ ذَنُوبًا وَسَوْطَ عَذَابٍ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ لِمَنْ يَعْصِيهِ، يُمْهِلُهُ قَلِيلًا، ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.(*).

وَيَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي شَأْنِ الْيَهُودِ: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ لِيَكِيدُوا بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَأَبْدَوْا وَأَعَادُوا، وَأَجْلَبُوا بِخَيْلِهِمْ وَرَجِلِهِمْ؛ أَطْفَأَهَا اللهُ بِخِذْلَانِهِمْ، وَتَفَرُّقِ جُنُودِهِمْ، وَانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أَيْ: يَجْتَهِدُونَ وَيَجِدُّونَ؛ وَلَكِنْ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، بِعَمَلِ الْمَعَاصِي، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِهِمُ الْبَاطِلِ، وَالتَّعْوِيقِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بَلْ يَبْغُضُهُمْ أَشَدَّ الْبُغْضِ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.(*/٢).

وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ)، الثُّلَاثَاءُ ٩ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ| ٢٣-٢-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (ص٢٣٧).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أَيْ: إِذَا تَكَلَّمَ رَاقَ كَلَامُهُ لِلسَّامِعِ، وَإِذَا نَطَقَ ظَنَنْتَهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ نَافِعٍ، وَيُؤَكِّدُ مَا يَقُولُ بِأَنَّهُ يُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ، بِأَنْ يُخْبِرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا فِي قَلْبِهِ مُوَافِقٌ لِمَا نَطَقَ بِهِ، وَهُوَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، فَلَوْ كَانَ صَادِقًا لَتَوَافَقَ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ؛ كَحَالِ الْمُؤْمِنِ غَيْرِ الْمُنَافِقِ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ أَيْ: إِذَا خَاصَمْتَهُ وَجَدْتَ فِيهِ مِنَ اللَّدَدِ وَالصُّعُوبَةِ وَالتَّعَصُّبِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا هُوَ مِنْ مَقَابِحِ الصِّفَاتِ، لَيْسَ كَأَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا السُّهُولَةَ مَرْكَبَهُمْ، وَالِانْقِيَادَ لِلْحَقِّ وَظِيفَتَهُمْ، وَالسَّمَاحَةَ سَجِيَّتَهُمْ.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ هَذَا الَّذِي يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ إِذَا حَضَرَ عِنْدَكَ؛ ﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا ﴾ أَيْ: يَجْتَهِدُ عَلَىٰ أَعْمَالِ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ، وَيُهْلِكُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، فَالزُّرُوعُ وَالثِّمَارُ وَالْمَوَاشِي تَتْلَفُ وَتَنْقُصُ وَتَقِلُّ بَرَكَتُهَا بِسَبَبِ الْعَمَلِ فِي الْمَعَاصِي، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ وَإِذَا كَانَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ؛ فَهُوَ يَبْغُضُ الْعَبْدَ الْمُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ غَايَةَ الْبُغْضِ؛ وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ قَوْلًا حَسَنًا.(*).

وَقَدْ وَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَعْضَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْهَا: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٢٢].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (ص٩٣).

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ فَلَعَلَّكُمْ ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْقُرْآنِ، وَفَارَقْتُمْ أَحْكَامَهُ ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تَعُودُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالْبَغْيِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَتَرْجِعُوا إِلَىٰ الْفُرْقَةِ بَعْدَمَا جَمَعَكُمُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، ﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ وَتُقَطِّعُوا: مِنَ التَّقْطِيعِ، عَلَىٰ التَّكْثِيرِ؛ لِأَجْلِ الْأَرْحَامِ.(*).

وَقَالَ فِي شَأْنِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣- ٣٤].(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مختصر من: «تفسير البغوي» (٤/ ٢١٦).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢- ٥- ٢٠١٥م.

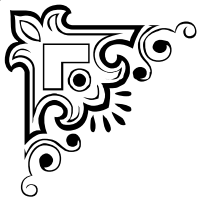
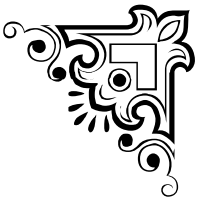

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ بُغَاةِ الْفِتْنَةِ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّهُ قَدْ أَوْلَى الْحَدِيثَ عَنْ بُغَاةِ الْفِتْنَةِ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ عِنَايَةً خَاصَّةً؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِ ضَلَالِهِمْ، وَإِظْهَارِ خَطَرِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَالْوَطَنِ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا ﷻ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وَلَمَّا ذَهَبَ مُوسَىٰ إِلَىٰ مِيقَاتِ رَبِّهِ؛ قَالَ لِهَارُونَ مُوصِيًا لَهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ حِرْصِهِ عَلَيْهِمْ وَشَفَقَتِهِ: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ أَيْ: كُنْ خَلِيفَتِي فِيهِمْ، وَاعْمَلْ فِيهِمْ بِمَا كُنْتُ أَعْمَلُ، ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أَيِ: اتَّبِعْ طَرِيقَ الصَّلَاحِ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: وَهُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي.(*).

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (ص٣٠٢).

يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَهَلَّا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، الَّذِينَ أَهْلَكْتُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ، وَكُفْرِهِمْ بِرُسُلِي ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: ذُو بَقِيَّةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ، يَعْتَبِرُونَ مَوَاعِظَ اللهِ وَيَتَدَبَّرُونَ حُجَجَهُ، فَيَعْرِفُونَ مَا لَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَعَلَيْهِمْ فِي الْكُفْرِ بِهِ ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يَنْهَوْنَ أَهْلَ الْمَعَاصِي عَنْ مَعَاصِيهِمْ، وَأَهْلَ الْكُفْرِ بِاللهِ عَنْ كُفْرِهِمْ بِهِ.(*).

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا الْحَقُّ -سُبْحَانَهُ- صِفَاتِ الْمُفْسِدِينَ وَالْبُغَاةِ، وَمِنْهَا: الْكَذِبُ، وَالتَّدْلِيسُ، وَادِّعَاءُ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ؛ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

أَيْ: إِذَا نُهِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَمَلُ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَمِنْهُ: إِظْهَارُ سَرَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعَدُوِّهِمْ، وَمُوَالَاتُهُمْ لِلْكَافِرِينَ؛ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْعَمَلِ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَإِظْهَارِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِفْسَادٍ، بَلْ هُوَ إِصْلَاحٌ؛ قَلْبًا لِلْحَقَائِقِ، وَجَمْعًا بَيْنَ فِعْلِ الْبَاطِلِ، وَاعْتِقَادِهِ حَقًّا، وَهَذَا أَعْظَمُ جِنَايَةٍ مِمَّنْ يَعْمَلُ بِالْمَعْصِيَةِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ، فَهَذَا أَقْرَبُ لِلسَّلَامَةِ، وَأَرْجَىٰ لِرُجُوعِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٢٦ والتي تليها).

وَلَمَّا كَانَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ حَصْرٌ لِلْإِصْلَاحِ فِي جَانِبِهِمْ -وَفِي ضِمْنِهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْإِصْلَاحِ-؛ قَلَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ دَعْوَاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾؛ فَإِنَّهُ لَا أَعْظَمَ فَسَادًا مِمَّنْ كَفَرَ بِآيَاتِ اللهِ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَخَادَعَ اللهَ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَوَالَىٰ الْمُحَارِبِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَزَعَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا إِصْلَاحٌ؛ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْفَسَادِ فَسَادٌ؟!!

وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ عِلْمًا يَنْفَعُهُمْ؛ وَإِنْ كَانُوا قَدْ عَلِمُوا بِذَلِكَ عِلْمًا تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِمْ حُجَّةُ اللهِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعَمَلُ بِالْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ إِفْسَادًا؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ فَسَادَ مَا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْحُبُوبِ، وَالثِّمَارِ، وَالْأَشْجَارِ، وَالنَّبَاتِ، بِمَا يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْآفَاتِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي، وَلِأَنَّ الْإِصْلَاحَ فِي الْأَرْضِ أَنْ تُعَمَّرَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، لِهَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَأَدَرَّ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ؛ لِيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَإِذَا عُمِلَ فِيهَا بِضِدِّهِ؛ كَانَ سَعْيًا فِيهَا بِالْفَسَادِ فِيهَا، وَإِخْرَابًا لَهَا عَمَّا خُلِقَتْ لَهُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تفسير السعدي» (ص٤٢).

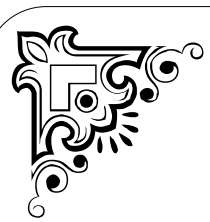
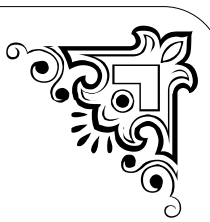

مِنْ صُوَرِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا يَكُونُ بِعِصْيَانِ اللهِ فِيهَا، وَالسَّيْرِ وَرَاءَ الْأَهْوَاءِ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

«وَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ أَهْوَاءَهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالظُّلْمِ، وَالْكُفْرِ، وَالْفَسَادِ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، فَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ لِفَسَادِ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ الْمَبْنِيِّ عَلَىٰ الظُّلْمِ وَعَدَمِ الْعَدْلِ، فَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مَا اسْتَقَامَتَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٢].

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتَجَاوِزِينَ حَدَّ الْحِكْمَةِ وَالْحَقِّ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِتَصَرُّفَاتِهِمُ الْآثِمَةِ الظَّالِمَةِ.(*).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٥٥٤) ط. مؤسسة الرسالة.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [هود: ٨٥].

وَقَدْ تَعَدَّدَتْ مَعَانِي وَصُوَرُ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جُمْلَةً مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

«**يَقُولُ تَعَالَى:** ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا**﴾ أَيْ: أَيَّ مَثَلٍ كَانَ ﴿**بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ**﴾؛ لِاشْتِمَالِ الْأَمْثَالِ عَلَىٰ الْحِكْمَةِ، وَإِيضَاحِ الْحَقِّ، وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ.

وَكَأَنَّ فِي هَذَا جَوَابًا لِمَنْ أَنْكَرَ ضَرْبَ الْأَمْثَالِ فِي الْأَشْيَاءِ الْحَقِيرَةِ، وَاعْتَرَضَ عَلَىٰ اللهِ فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَحَلُّ اعْتِرَاضٍ، بَلْ هُوَ مِنْ تَعْلِيمِ اللهِ لِعِبَادِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، فَيَجِبُ أَنْ تُتَلَقَّىٰ بِالْقَبُولِ وَالشُّكْرِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ**﴾ فَيَفْهَمُونَهَا، وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا.

فَإِنْ عَلِمُوا مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ؛ ازْدَادَ بِذَلِكَ عِلْمُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ؛ وَإِلَّا عَلِمُوا أَنَّهَا حَقٌّ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ حَقٌّ؛ وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْهِمْ وَجْهُ الْحَقِّ فِيهَا؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَضْرِبْهَا عَبَثًا، بَلْ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَنِعْمَةٍ سَابِغَةٍ.

﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ**﴾ فَيَعْتَرِضُونَ وَيَتَحَيَّرُونَ، فَيَزْدَادُونَ كُفْرًا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ، كَمَا ازْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا إِلَىٰ إِيمَانِهِمْ؛

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾، فَهَذِهِ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ عِنْدَ نُزُولِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤- ١٢٥]، فَلَا أَعْظَمَ نِعْمَةً عَلَىٰ الْعِبَادِ مِنْ نُزُولِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَمَعَ هَذَا تَكُونُ لِقَوْمٍ مِحْنَةً، وَحَيْرَةً، وَضَلَالَةً، وَزِيَادَةَ شَرٍّ إِلَىٰ شَرِّهِمْ، وَلِقَوْمٍ مِنْحَةً، وَرَحْمَةً، وَزِيَادَةَ خَيْرٍ إِلَىٰ خَيْرِهِمْ، فَسُبْحَانَ مَنْ فَاوَتَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَانْفَرَدَ بِالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ!

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَتَهُ وَعَدْلَهُ فِي إِضْلَالِ مَنْ يُضِلُّ، فَقَالَ: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾ أَيِ: الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، الْمُعَانِدِينَ لِرُسُلِ اللهِ، الَّذِينَ صَارَ الْفِسْقُ وَصْفَهُمْ، فَلَا يَبْغُونَ بِهِ بَدَلًا، فَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَىٰ إِضْلَالَهُمْ؛ لِعَدَمِ صَلَاحِيَتِهِمْ لِلْهُدَىٰ، كَمَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ وَفَضْلُهُ هِدَايَةَ مَنِ اتَّصَفَ بِالْإِيمَانِ، وَتَحَلَّىٰ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَالْفِسْقُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مُخْرِجٌ مِنَ الدِّينِ، وَهُوَ الْفِسْقُ الْمُقْتَضِي لِلْخُرُوجِ مِنَ الْإِيمَانِ؛ كَالْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَحْوِهَا، وَنَوْعٌ غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦] الْآيَةَ.

ثُمَّ وَصَفَ الْفَاسِقِينَ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧]، وَهَذَا يَعُمُّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَالَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، الَّذِي أَكَّدَهُ عَلَيْهِمْ

بِالْمَوَاثِيقِ الثَّقِيلَةِ وَالْإِلْزَامَاتِ، فَلَا يُبَالُونَ بِتِلْكَ الْمَوَاثِيقِ، بَلْ يَنْقُضُونَهَا، وَيَتْرُكُونَ أَوَامِرَهُ، وَيَرْتَكِبُونَ نَوَاهِيَهُ، وَيَنْقُضُونَ الْعُهُودَ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ؛ فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنَا أَنْ نَصِلَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَتَعْزِيرِهِ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْوَالِدَيْنِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَسَائِرِ الْخَلْقِ بِالْقِيَامِ بِتِلْكَ الْحُقُوقِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ نَصِلَهَا.

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَوَصَلُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ مِنْ هَذِهِ الْحُقُوقِ، وَقَامُوا بِهَا أَتَمَّ الْقِيَامِ، وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ؛ فَقَطَعُوهَا، وَنَبَذُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛ مُعْتَاضِينَ عَنْهَا بِالْفِسْقِ، وَالْقَطِيعَةِ، وَالْعَمَلِ بِالْمَعَاصِي، وَهُوَ: الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أَيْ: مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَحَصَرَ الْخَسَارَةَ فِيهِمْ؛ لِأَنَّ خُسْرَانَهُمْ عَامٌّ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ، لَيْسَ لَهُمْ نَوْعٌ مِنَ الرِّبْحِ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ شَرْطُهُ الْإِيمَانُ، فَمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ لَا عَمَلَ لَهُ، وَهَذَا الْخَسَارُ هُوَ خَسَارُ الْكُفْرِ، وَأَمَّا الْخَسَارُ الَّذِي قَدْ يَكُونُ كُفْرًا، وَقَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً، وَقَدْ يَكُونُ تَفْرِيطًا فِي تَرْكِ مُسْتَحَبٍّ، الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]؛ فَهَذَا عَامٌّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ؛ إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَحَقِيقَتُهُ فَوَاتُ الْخَيْرِ الَّذِي كَانَ الْعَبْدُ بِصَدَدِ تَحْصِيلِهِ وَهُوَ تَحْتَ إِمْكَانِهِ»(١).

---

(١) «**تفسير السعدي**» (ص٤٧) ط. مؤسسة الرسالة.

قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٢].

فِي أَوَّلَ مَا ذَكَرَ مَلَائِكَةُ اللهِ جَلَّوَعَلَا عِنْدَمَا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً؛ ذَكَرُوا إِفْسَادَهُ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَكُونُ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ فِيهَا -يَسْتَعْلِمُونَ.. يَسْتَوْضِحُونَ، لَا يَعْتَرِضُونَ، حَاشَا للهِ أَنْ يَعْتَرِضُوا، وَإِنَّمَا هُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ مُمْتَثِلِينَ لِأَمْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، لَا يَسْتَحْسِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَكِلُّونَ، وَلَا يَتْعَبُونَ-، فَقَالُوا: إِنَّهُ سَيُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ، وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ يَتَّخِذُ صُوَرًا شَتَّىٰ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢- ٥- ٢٠١٥م.

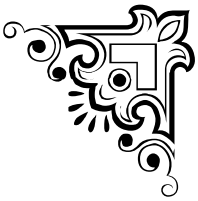

مِنْ أَخْطَرِ صُوَرِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ:
الشِّرْكُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ صُوَرَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ كَثِيرَةٌ وَمُتَعَدِّدَةٌ، وَأَعْظَمُهَا وَأَخْطَرُهَا: الشِّرْكُ بِاللهِ ﷻ؛ فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ مَدَىٰ قُبْحِ الشِّرْكِ، وَحَذَّرَ مِنْ مَفَاسِدِهِ.

*** فَالشِّرْكُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- أَكْبَرُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ؛ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ خَالِدًا فِيهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ:** ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ١١١، رقم (١٢٣٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٩٤، رقم (٩٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وفي رواية للبخاري: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»،...، والحديث بنحوه عند مسلم أيضا من رواية جابر رضي الله عنه.

وَكَمَا قَالَ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ -أَيْضًا-(١).

* **وَالشِّرْكُ يُمَزِّقُ وَحْدَةَ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ رَبُّنَا** جَلَّ وَعَلَا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

فَالْمُشْرِكُ مُمَزَّقُ الِاتِّجَاهِ وَالْقُوَىٰ، حَائِرٌ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَىٰ نَهْجٍ، وَلَا يَسْتَقِيمُ عَلَىٰ طَرِيقٍ.

وَحَالَةُ التَّمَزُّقِ وَالضَّيَاعِ وَالِانْهِيَارِ وَالْقَلَقِ الَّتِي تُصِيبُ الْمُشْرِكَ فِي كِيَانِهِ، عُقُوبَةٌ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي يُعَاقِبُ اللهُ بِهَا الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فَالْمُشْرِكُ ضَائِعٌ ذَاهِبٌ، يَهْوِي مِنْ شَاهِقٍ، فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ يَتَمَزَّقُ، فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَقْذِفُ بِهِ الرِّيحُ بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ فِي هُوَّةٍ لَيْسَ لَهَا قَرَارٌ.

وَلَا جَرَمَ أَنَّ مَنْ هَوَىٰ مِنْ أُفُقِ الْإِيمَانِ السَّامِقِ؛ حَرِيٌّ أَنْ يَصِيرَ إِلَىٰ الْبَوَارِ وَالِانْطِوَاءِ!!

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ١٧٩، رقم (٣٠٦٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١٠٥، رقم (١١١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث في «**الصحيحين**» -أيضا- من رواية ابن مسعود رضي الله عنه.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا حَالَ الْمُشْرِكِ، وَحَيْرَتَهُ وَتَمَزُّقَهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١].

* عِبَادَ اللهِ! الشِّرْكُ مَبْعَثُ الْمَخَاوِفِ وَالْأَوْهَامِ، وَفِي جَوِّ الشِّرْكِ تَرُوجُ الْخُرَافَاتُ وَالْأَبَاطِيلُ، وَيَنْتَشِرُ التَّطَيُّرُ وَالتَّشَاؤُمُ، وَيَغْلِبُ الرُّعْبُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ؛ قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

* وَالشِّرْكُ يُحْبِطُ الْعَمَلَ، وَيُؤَدِّي إِلَىٰ الْخُسْرَانِ؛ قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فَأَعْمَالُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ لَا يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَىٰ، وَلَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا؛ قَالَ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٢٨٩، رقم (٢٩٨٥).

وَقَدْ سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَأَتْ أَمْرًا، أَوْ عَلِمَتْهُ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَتَحَقَّقَ مِنْهُ، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلَةً: يَا رَسُولَ اللهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ؛ فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ؟

قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»(١).

الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَبَوَّبَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي «صَحِيحِهِ: بَابٌ: الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلُهُ».

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي «سُورَةِ الْأَنْعَام» ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِمْ وَسَلَّمَ-؛ ذَكَرَهُمْ -تَعَالَىٰ- فِي نَسَقٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

* **وَالشِّرْكُ يَطْمِسُ نُورَ الْفِطْرَةِ، وَتُصْبِحُ أَعْمَالُ الْمُشْرِكِ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً؛ قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التِّين: ٤-٦].

* **وَالشِّرْكُ يَمْحَقُ عِزَّةَ النَّفْسِ، وَيُورِثُ الْمَهَانَةَ وَالذُّلَّ؛ فَالْعِزَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَتَوْحِيدِهِ؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

«فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١٩٦، رقم (٢١٤).

أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ، الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]»(١).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ للهِ، وَأَنَّ إِفْرَادَ الْعِبَادَةِ للهِ؛ فَقَدْ وَجَبَ أَنْ تَعْرِفَ مَا هُوَ الشِّرْكُ؟

وَذَلِكَ لِكَيْ لَا تَقَعَ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ حَذَّرَ مِنَ الشِّرْكِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

وكَمَا أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، فَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ: الشِّرْكُ.

وَهَذَا الْخَطَرُ الْعَظِيمُ تَحْرُمُ بِهِ الْجَنَّةُ، وَيَسْتَحِقُّ بِهِ صَاحِبُهُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

فَيَجِبُ -إِذَنْ- أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْخَطَرَ الْعَظِيمَ؛ لِتَجْتَنِبَهُ، وَأَنْ تَعْرِفَ هَذَا الشِّرْكَ وَتِلْكَ الشَّبَكَةَ لِتَتَوَقَّىٰ كُلَّ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَيْهَا؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُوَرِّطَكَ فِيهَا، وَذَلِكَ بِأَنْ تَعْرِفَ التَّوْحِيدَ، وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ: أَنْ تَعْرِفَ الشِّرْكَ أَيْضًا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجْتَنِبَهُ؛ حَتَّىٰ لَا تَقَعَ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَمْرَ الشِّرْكِ عَظِيمٌ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الشِّرْكَ نَجَاسَةٌ لِلْقُلُوبِ، الشِّرْكُ يُنَجِّسُ الْقُلُوبَ، وَيُحْبِطُ الْعِبَادَةَ جَمِيعًا؛ سَوَاءٌ جَاءَتْ مِنَ الْقَلْبِ، أَوْ مِنَ اللِّسَانِ، أَوْ مِنَ الْجَوَارِحِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ٤-٥].

---

(١) مقدمة «**القواعد الأربعة**» ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٢/ ٢٣.

وَنَحْنُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّ الْمُشْرِكَ مَهْمَا تَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِعِبَادَةٍ؛ فَهِيَ بَاطِلَةٌ وَحَابِطَةٌ، لَا يَقْبَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهَا شَيْئًا مَا دَامَتِ الْعِبَادَةُ مَمْزُوجَةً بِالشِّرْكِ.

يَأْمُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ الدُّخُولُ تَحْتَ رِقِّ عُبُودِيَّتِهِ، وَالِانْقِيَادِ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ؛ مَحَبَّةً وَذُلًّا، وَإِخْلَاصًا لَهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَيَنْهَىٰ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ -لَا شِرْكًا أَصْغَرَ، وَلَا أَكْبَرَ- لَا مَلَكًا، وَلَا نَبِيًّا، وَلَا وَلِيًّا، وَلَا غَيْرَهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.

بَلِ الْوَاجِبُ -عِبَادَ اللهِ- الْمُتَعَيَّنُ: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِمَنْ لَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَلَهُ التَّدْبِيرُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَشْرَكُهُ وَلَا يُعِينُهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.(*).

عِبَادَ اللهِ! الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ الْيَوْمَ -إِلَّا قَلِيلًا- فِيهِ الْمَشَاهِدُ الشِّرْكِيَّةُ الَّتِي شُيِّدَتْ عَلَىٰ الْقُبُورِ، وَعِنْدَهَا شِرْكٌ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، يُعْبَدُ الْأَمْوَاتُ، وَيُتَقَرَّبُ إِلَىٰ الْقُبُورِ!!

وَمِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ؛ لِأَنَّهُ -بِزَعْمِهِمْ- يَنْتَقِصُ الْأَوْلِيَاءَ!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ: مَوْضُوعُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٩-٧-٢٠١٤م.

وَالدُّعَاةُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ -فِي الْجُمْلَةِ- لَا يَهْتَمُّونَ بِأَمْرِ التَّوْحِيدِ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ الْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ، وَإِلَىٰ تَرْكِ الزِّنَا، وَتَرْكِ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَهِيَ كَبَائِرُ مُحَرَّمَاتٌ بِلَا شَكٍّ.

وَلَكِنْ لَوْ تَرَكَ النَّاسُ الزِّنَا، وَشُرْبَ الْخُمُورِ، وَحَسَّنُوا أَخْلَاقَهُمْ، وَتَرَكُوا الرِّبَا، وَلَمْ يَتْرُكُوا عِبَادَةَ الْقُبُورِ؛ فَأَسَاسُهُمْ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَدِينُهُمْ غَيْرُ صَحِيحٍ.

وَلَوْ تَرَكُوا الْكَبَائِرَ -مَا دَامَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا الشِّرْكَ-، وَحَتَّىٰ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ مَا دَامَ أَنَّهُ لَا يُنْكِرُ الشِّرْكَ، وَلَا يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَتَبَرَّأُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِثْلَهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

هَذَا تَنْزِيهٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

فَالْمُسْلِمِ الْمُوَحِّدُ لَا يَصِحُّ تَوْحِيدُهُ حَتَّىٰ يَتَبَرَّأَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَسَعُهُ أَنْ يَسْكُتَ عَلَىٰ الشِّرْكِ يَعُجُّ فِي بَلَدِهِ، وَالْأَضْرِحَةِ تُشَيَّدُ فِيهَا، وَيُطَافُ بِالْقُبُورِ، وَيُسْأَلُ الْمَقْبُورُونَ حَتَّىٰ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

فَلَا يَسَعُ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَىٰ هَذَا الْوَبَاءِ الْخَطِيرِ الَّذِي يَفْتِكُ بِجَسَدِ الْأُمَّةِ، وَيَقُولُ: أَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ حُسْنِ السِّيرَةِ وَالسُّلُوكِ، وَتَرْكِ الْخُمُورِ، وَتَرْكِ الزِّنَا!!

مَاذَا تَنْفَعُ هَذِهِ إِذَا فُقِدَ ذَلِكَ الْأَسَاسُ؟!!

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتَهُ؛ وَضَعَ أَسَاسَهُ، وَإِذَا لَمْ يَهْتَمَّ بِأَسَاسِ بَيْتِهِ، وَلَا بِقَوَاعِدِ بِنَائِهِ؛ فَمَهْمَا شَيَّدَ وَجَمَّلَ، وَحَسَّنَ وَنَمَّقَ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِلسُّقُوطِ، وَيَكُونُ خَطِرًا عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ مَنْ نَزَلَ ذَلِكَ الْمَبْنَىٰ الَّذِي لَمْ يُشَيَّدْ عَلَىٰ أَسَاسٍ.

كَذَلِكَ الدِّينُ؛ إِذَا لَمْ يَقُمْ عَلَىٰ عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، وَأَسَاسٍ سَلِيمٍ، وَتَوْحِيدٍ للهِ جَلَّوَعَلَا، وَتَنْزِيهٍ عَنِ الشِّرْكِ، وَإِبْعَادٍ لِلْمُشْرِكِينَ عَنْ مَوْطِنِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْبُنْيَانَ يَكُونُ وَاهِيًا سَرْعَانَ مَا يَتَهَاوَىٰ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْت ١٥ مِنَ الْمُحَرَّم ١٤٣٣هـ| ١٠-١٢-٢٠١١م.

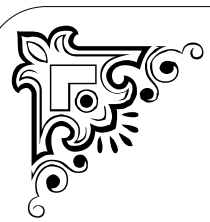

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْهَا، وَشَدَّدَ النَّكِيرَ عَلَى فَاعِلِهَا بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللهِ: هُوَ قَتْلُ النَّفْسِ الْمَعْصُومَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ كَبِيرٌ، وَهُوَ أَمْرٌ جَلَلٌ، وَجَرِيمَةٌ مُنْكَرَةٌ شَنِيعَةٌ حَذَّرَ مِنْهَا رَبُّنَا -تَعَالَى-، وَحَذَّرَ مِنْهَا نَبِيُّنَا ﷺ(١)، إِنَّ احْتِرَامَ دِمَاءِ النَّاسِ، وَاحْتِرَامَ أَمْوَالِهِمْ أَمْرٌ قَرَّرَتْهُ شَرِيعَةُ الإِسْلَامِ، وَحُرْمَةُ الدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ مِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ شَرَائِعُ اللهِ كُلُّهَا، وَأَكْمَلُهَا شَرِيعَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَعْظِيمُ أَمْرِ القَتْلِ، وَبَيَانُ خَطَرِهِ فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ:

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَحَدِ ابْنَيْ آدَمَ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

---

(١) من خطبة: «التحذير من قتل النفس المعصومة والإفساد في الأرض».

وَقَالَ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ** -أَيْ: نَصِيبٌ- **مِنْ دَمِهَا؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»(١).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا **عَنْ رَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَىٰ** ﷺ **إِنَّهُ قَالَ لِلخَضِرِ**: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكَهْف:٧٤].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥-١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].(*).

فَالْأَصْلُ أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْرَاضَهَمْ مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، لَا تَحِلُّ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْ اللهِ ورَسُولِهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (رَقْم ٣٣٣٥) ومَوَاضِع، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ١٦٧٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَحْدَاثِ الْبُطْرُسِيَّةِ» - ١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ| ١٦-١٢-٢٠١٦م.

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا خَطَبَهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**». أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا؛ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟

قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ**». أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) «**صَحِيح الْبُخَارِيِّ**» (رَقْم ٦٧ و٧٠٧٨) ومَوَاضِع، و«**صَحِيح مُسْلِمٍ**» (رَقْم ١٦٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) «**صَحِيح مُسْلِمٍ**» (رَقْم ٢٥٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) «**صَحِيح الْبُخَارِيِّ**» (رَقْم ٣١ و٦٨٧٥ و٧٠٨٣)، و«**صَحِيح مُسْلِمٍ**» (رَقْم ٢٨٨٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (رَقْم ١٧٣٩ و٧٠٧٩)، والحديث في «**الصحيحين**» من رواية: أَبِي بَكْرَةَ وجَرِيرٍ وابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم، نحوه.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**».

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(٣).

وَأَخْرَجَ(٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «**إِنَّ مِنْ وَرْطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا؛ سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ**».

وَالْوَرْطَاتُ: جَمْعُ وَرْطَةٍ، وَهِيَ الشَّيْءُ الَّذِي قَلَّ مَا يَنْجُو مِنْهُ أَوْ هِيَ الْهَلَاكُ، «**إِنَّ مِنْ وَرْطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا** -أَيْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَىٰ الْخَلَاصِ مِنْهَا- **سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ** -أَيْ: بِغَيْرِ حَقٍّ يُبِيحُ الْقَتْلَ-».

فَهَذَا كُلُّهُ تَشْدِيدٌ فِي الدِّمَاءِ، وَبَيَانٌ عَظِيمٌ لِحُرْمَتِهَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

إِنَّ النَّفْسَ الْمَعْصُومَةَ فِي حُكْمِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ هِيَ: كُلُّ مُسْلِمٍ، وَكُلُّ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَانٌ؛ **كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا**

---

(١) «**صَحِيح الْبُخَارِيِّ**» (رَقْم ٤٨ و٦٠٤٤ و٧٠٧٦)، و«**صَحِيح مُسْلِم**» (رَقْم ٦٤).

(٢) «**صَحِيح الْبُخَارِيِّ**» (رَقْم ٦٥٣٣ و٦٨٦٤)، و«**صَحِيح مُسْلِم**» (رَقْم ١٦٧٨).

(٣) «**صَحِيح الْبُخَارِيِّ**» (رَقْم ٦٨٦٢).

(٤) أي الْبُخَارِيّ في «**صَحِيحِهِ**» (رَقْم ٦٨٦٣).

مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ- فِي حَقِّ غَيْرِ المُسْلِمِ فِي حُكْمِ قَتْلِهِ خَطأً لَا عَمْدًا: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢].

فَإِذَا كَانَ غَيْرُ المُسْلِمِ الَّذِي لَهُ أَمَانٌ؛ إِذَا قُتِلَ خَطَأً؛ فِيهِ الدِّيَةُ وَالكَفَّارَةُ، فَكَيْفَ إِذَا قُتِلَ عَمْدًا؟!

إِنَّ الجَرِيمَةَ تَكُونُ أَعظَمَ، وَإِنَّ الإِثْمَ يَكُونُ أَكْبَرَ، وَقَد صَحَّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّذِي أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١): «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**».

فَلَا يَجُوزُ التَّعَرُّضُ لِمُسْتَأْمَنٍ بِأَذًى، وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِنَ الكَبَائِرِ المُتَوَعَّدِ عَلَيْهَا بِعَدَمِ دُخُولِ القَاتِلِ الجَنَّةَ -نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخِذْلَانِ-.(*).

❊❊❊

(١) «**صَحِيح الْبُخَارِيِّ**» (رَقْم ٣١٦٦ و ٦٩١٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَحْدَاثُ الْبُطْرُسِيَّةِ» بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ - ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ| ١٦-١٢-٢٠١٦م.

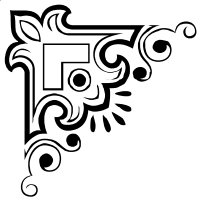
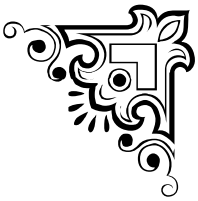

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: نَشْرُ الْبِدْعَةِ

مِنَ الصُّوَرِ الْخَطِيرَةِ لِلْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الِابْتِدَاعُ فِي دِينِ اللهِ وَنَشْرُ الْبِدَعِ؛ فَالْبِدَعُ كُلُّهَا ضَلَالَاتٌ وَزَيْغٌ، وَالشُّؤْمُ لَاحِقٌ الْمُبْتَدِعَ حَالًا وَمَآلًا.(*).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ تُصِيبَهُ فِتْنَةٌ فِي قَلْبِهِ؛ فَيَزِيغَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَكْفُرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَيَفْسَدَ قَلْبُهُ بِزَيْغٍ وَضَلَالٍ، فَلَا يَهْتَدِي لِلْحَقِّ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذِهِ عُقُوبَةٌ أَشَدُّ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا.

الثَّانِي: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**؛ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ، أَوِ الْمَرَضِ، أَوِ الْهَلَاكِ الَّذِي يَحِلُّ بِالْكُفَّارِ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «خُطُورَةُ الِابْتِدَاعِ وَشُؤْمُ الْبِدَعِ» [ص: ٢٣].

وَالْعَذَابُ الثَّانِي يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ.(*).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيمَا أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ(٢)؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ**» يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

يَعْنِي: مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ دِينِ اللهِ؛ فَهُوَ مَرْدُودٌ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ(٣): «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْعَمَلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَوَابًا مُوَافِقًا لِشَرِيعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ.(*/٢).

إِنَّ نَشْرَ الْبِدَعِ، وَتَوْقِيرَ الْمُبْتَدِعِينَ إِعَانَةٌ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الْمَدِينَةَ -زَادَهَا اللهُ شَرَفًا- قَالَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ رِسَالَةِ: «السُّنَّةُ وَبَيَانُ مَكَانَتِهَا فِي الْإِسْلَامِ» - الطَّبْعَةُ الْأُولَىٰ طَبْعَةُ دَارِ الْفُرْقَانِ وَأَضْوَاءِ السَّلَفِ لِعَامِ ٢٠٠٩م.

(٢) «**صحيح البخاري**» (رقم ٢٦٩٧)، و«**صحيح مسلم**» (رقم ١٧١٨/ ١٧).

(٣) «**صحيح مسلم**» (١٧١٨/ ١٨).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «الِاحْتِفَالُ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ» - الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٨هـ| ٢٧-٣-٢٠٠٧م.

(٥) «**صحيح البخاري**» (٦٣٧٤)، و«**صحيح مسلم**» (١٣٧٠).

«فَالْإِيوَاءُ يُجَامِعُ التَّوْقِيرَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَشْيَ إِلَيْهِ وَالتَّوْقِيرَ لَهُ تَعْظِيمٌ لَهُ لِأَجْلِ بِدْعَتِهِ، وَالشَّرْعُ يَأْمُرُ بِزَجْرِهِ، وَإِهَانَتِهِ وَإِذْلَالِهِ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، فَصَارَ تَوْقِيرُهُ صُدُودًا عَنْ الْعَمَلِ بِشَرْعِ الْإِسْلَامِ، وَإِقْبَالًا عَلَىٰ مَا يُضَادُّهُ وَيُنَافِيهِ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَنْهَدِمُ إِلَّا بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُنَافِيهِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ تَوْقِيرَ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ مَظِنَّةٌ لِمُفْسَدَتَيْنِ تَعُودَانِ بِالْهَدْمِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ:

إِحْدَاهُمَا: الْتِفَاتُ الْعَامَّةِ وَالْجُهَّالِ إِلَىٰ ذَلِكَ التَّوْقِيرِ، فَيَعْتَقِدُونَ فِي الْمُبْتَدِعِ أَنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ، وَأَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ عَلَىٰ بِدْعَتِهِ دُونَ اتِّبَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ سُنَّتِهِمْ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ إِذَا وُقِّرَ مِنْ أَجْلِ بِدْعَتِهِ؛ صَارَ ذَلِكَ كَالْحَادِي الْمُحَرِّضِ لَهُ عَلَىٰ إِنْشَاءِ الِابْتِدَاعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ فَتَحْيَا الْبِدَعُ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ، وَهُوَ هَدْمُ الْإِسْلَامِ بِعَيْنِهِ»(١). (*).

وَمِنْ وُجُوهِ إِفْسَادِ الِابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ: أَنَّهُ يُفَرِّقُ الْأُمَّةَ، وَيُمَزِّقُ وَحْدَتَهَا.

وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقْتَضِي التَّفَرُّقَ شِيَعًا، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَىٰ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]،

---

(١) «**الاعتصام**» للشاطبي (١/ ١٥١ والتي بعدها) ط. دار ابن الجوزي - السعودية.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «خُطُورَةُ الِابْتِدَاعِ وَشُؤْمُ الْبِدَعِ» [ص: ٣٠-٣١].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] .(*).

عِبَادَ اللهِ! لَا رَفْعَ لِلذُّلِّ وَلَا عَوْدَةَ لِلْعِزِّ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الدِّينِ، وَهَذَا يَقْتَضِي مَعْرِفَةَ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْأَخْذِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «خُطُورَةُ الِابْتِدَاعِ وَشُؤْمُ الْبِدَعِ» [ص: ٣٤].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «خُطُورَةُ الِابْتِدَاعِ وَشُؤْمُ الْبِدَعِ» [ص: ٥٩].

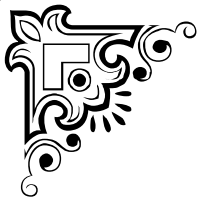
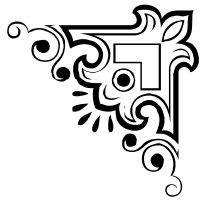

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ:
ارْتِكَابُ الْمَعَاصِي

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مَعْصِيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، وَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»(١) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**». وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، وَفِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَفِي غَيْرِهِمَا.

«**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ**»: وَهِيَ السِّلْعَةُ تَدْخُلُ بَيْنَ أَخْذٍ وَعَطَاءٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ مَعَ زِيَادَةٍ فِي نَظِيرِ الْأَجَلِ بِلَا مُقَابِلٍ، وَهِيَ حِيلَةٌ مِنَ الْحِيَلِ يَأْخُذُ بِهَا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، يَشْتَرِي سِلْعَةً بِأَلْفٍ إِلَىٰ أَجَلٍ، ثُمَّ يَشْتَرِيهَا مِمَّنْ بَاعَهَا لَهُ

---

(١) «**سنن أبي داود**» (رقم ٣٤٦٢)، وصححه بمجموع طرقه الألباني في «**الصحيحة**» (١/ رقم ١١)، وفي «**صحيح سنن أبي داود**» (٢/ ٣٦٥).

بِثَمَانِمِئَةٍ -مَثَلًا- نَقْدًا فِي الْحَالِ، فَيَأْخُذُ ثَمَانِمِئَةٍ وَيَبْقَىٰ فِي ذِمَّتِهِ أَلْفٌ، فَدَخَلَتِ السِّلْعَةُ وَخَرَجَتْ -حِيلَةً- مِنْ أَجْلِ تَحْلِيلِ الرِّبَا، وَهَيْهَاتَ!!

إِذَا فَسَدَتْ حَيَاتَكُمْ الِاقْتِصَادِيَّةُ، «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ**».

«**وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ**»: فَصِرْتُمْ تَابِعِينَ حَتَّىٰ لِلْبَقَرِ، وَانْحَطَّتْ هِمَمُكُمْ، «**وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**».

فَجَعَلَ رَفْعَ الذُّلِّ مَرْهُونًا بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الدِّينِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

قَدْ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ الدِّينَ الْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَسْلُكُ إِلَىٰ هَذَا الدِّينِ السَّبِيلَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْهِ، فَلَا يَكُونُ مُحْسِنًا وَلَا يُرْفَعُ الذُّلُّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا لَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَلَا بُدَّ مْنْ مَعْرِفَةِ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ السَّبِيلِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ.

فَإِذَا تَحَصَّلَ الْمُجْتَمَعُ عَلَىٰ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ رَفَعَ اللهُ مَا سَلَّطَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّلِّ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَىٰ عِزِّهِ وَعِزَّتِهِ، وَرِفْعَتِهِ وَسُؤْدُدِهِ وَمَجْدِهِ.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَ اللهِ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ تَعَالَىٰ بِأَسْبَابِ سَخَطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غُيِّرَ عَلَيْهِ؛ جَزَاءً وِفَاقًا -وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ-.

فَمَنْ صَفَّىٰ صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ كَدَّرَ كُدِّرَ عَلَيْهِ، وَمَنْ شَابَ شِيبَ لَهُ، فَمَنْ أَحْسَنَ أُحْسِنَ إِلَيْهِ، وَعَلَىٰ مَنْ أَسَاءَ السُّوأَىٰ -وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ-.

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا** -يَعْنِي: هَمَّ الْمَعَادِ-؛ **كَفَاهُ اللهُ سَائِرَ هُمُومِهِ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ**»(١).

مَنْ وَحَّدَ؛ وَحَّدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ سَبِيلَهُ، وَأَقَامَ لَهُ حُجَّتَهُ، وَأَنَارَ لَهُ صِرَاطَهُ، وَهَدَىٰ قَلْبَهُ، وَسَدَّدَ لِسَانَهُ، وَدَفَعَ عَنْهُ أَعْدَاءَهُ؛ لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ اللهُ لَهُ فَمَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ؟!! وَمَنْ تَخَلَّىٰ اللهُ عَنْهُ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ عَنْهُ؟!!

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «**الزهد**» (رقم ١٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٣، رقم ٣٦٥٨) و(٤/ ٣٢٨ - ٣٢٩، رقم ٧٩٣٤)، والبيهقي في «**الزهد**» (رقم ١٦)، وفي «**شعب الإيمان**» (١٢/ رقم ٩٨٥٧)، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**» (٣/ رقم ٣١٧٠).

والحديث بمثله عند ابن ماجه في «**السنن**» (رقم ٢٥٧ و٤١٠٦)، من حديث: ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**» (٣/ رقم ٣١٧١).

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ(١) وَغَيْرُهُ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ هَمَّهُ الْآخِرَةُ؛ جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، وَمَنْ كَانَتْ هَمَّهُ الدُّنْيَا؛ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ**».

الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

«**مَنْ كَانَتْ هَمَّهُ الْآخِرَةُ**»، فَجَمَعَ عَلَيْهَا قُوَاهُ، وَاسْتَعَدَّ لَهَا بِكُلِّيَّتِهِ، وَصَارَ عَلَيْهَا مُقْبِلًا، وَعَنْ سِوَاهَا مُدْبِرًا؛ «**جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ**»، «**وَالْغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ**»(٢) -كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ-، كَمَا أَنَّ الْفَقْرَ فَقْرُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ.

«**وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً**»، فَيَجْعَلُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي يَدِهِ، وَلَا يَجْعَلُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَلْبِهِ، وَكَذَا شَأْنُ الصَّالِحِينَ.

---

(١) «**صحيح ابن حبان**» (رقم ٦٨٠/ الإحسان)، وأخرجه أيضا: ابن ماجه في «**السنن**» (رقم ٤١٠٥)، بلفظ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»، وصحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**» (١/ رقم ٤٠٤) (٢/ رقم ٩٥٠).

والحديث بنحوه عند الترمذي في «**الجامع**» (رقم ٢٤٦٥)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهما، وروي أيضا عن أبي الدرداء وابن عباس وأبي ذر رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري في «**صحيحه**» (رقم ٦٤٤٦)، ومسلم في «**صحيحه**» (رقم ١٠٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ**».

وَأَمَّا الطَّالِحُونَ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَكُونُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَهْمَا امْتَلَأَتْ بِهَا أَيْدِيهِمْ لَا تَشْبَعُ مِنْهَا نُفُوسُهُمْ؛ كَالَّذِي يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ شُرْبَ الْهِيمِ حَتَّىٰ تَنْقَدَّ مَعِدَتُهُ، وَلَا يُرْوَىٰ بِحَالٍ أَبَدًا.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

الْفَسَادُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ: الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾؛ فَهَذَا حَالُنَا!!

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، وَإِنَّمَا أَذَاقَنَا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَلَوْ أَذَاقَنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

وَكُلَّمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ ذَنْبًا؛ أَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ عُقُوبَةً؛ فَالْمَعَاصِي تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ؛ فِي الْمِيَاهِ، وَفِي الْهَوَاءِ، وَفِي الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ، وَالْمَسَاكِنِ وَالنُّفُوسِ، وَالتَّصَوُّرَاتِ وَحَرَكَةِ الْحَيَاةِ.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ سَبَبًا لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ، وَحُلُولِ عِقَابِهِ عَلَىٰ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

أَيْ: أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا أَمْرًا قَدَرِيًّا؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَقِيلَ: سَخَّرَهُمْ إِلَىٰ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ، فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، وَقِيلَ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَاتِ فَفَعَلُوا الْفَوَاحِشَ، فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾.(*).

إِنَّ النَّاسَ إِذَا خَالَفُوا أَمْرَ اللهِ؛ هَانُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا هَانُوا عَلَيْهِ تَرَكَهُمْ، وَمَنْ تَرَكَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ أَعْظَمُ عُقُوبَةٍ وَأَكْبَرُهَا؛ إِذْ إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَحَاطَ الْعَبْدَ بِكَلَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ؛ فَقَدْ شَمِلَهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَإِذَا تَخَلَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنِ الْعَبْدِ؛ صَارَ فِي الضَّلَالِ فِي كُلِّ وَادٍ، ثُمَّ إِنَّ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ التَّنْغِيصِ فِي الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ مَا وَصَفَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَهَذِهِ حَيَاةُ النَّكَدِ الصِّرْفِ، وَلَا يَصِحُّ لِلْقَلْبِ حَيَاةٌ حَتَّىٰ يَعْرِفَ الْقَلْبُ رَبَّهُ، وَحَتَّىٰ يُحِبَّهُ، وَحَتَّىٰ يَتِمَّ الْحُبُّ عَلَىٰ تَمَامِهِ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ للهِ، فَيَصِيرُ الْعَبْدُ عَبْدًا للهِ كَمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣ هـ| ١٥-٦-٢٠١٢ م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «سَبَبُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٣هـ| ٦-٤-٢٠١٢م.

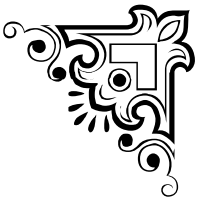

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: نَشْرُ الْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ

إِنَّ مِنْ أَشْنَعِ صُوَرِ الْفَسَادِ: نَشْرَ الْمُنْكَرَاتِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا، وَنَشْرَ الْفَاحِشَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَحْبِيبَهُمْ لَهَا، وَتَذْلِيلَ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي تُوَاجِهُهَا، وَاللهُ ﷻ نَهَىٰ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

«لَمَّا ذَكَرَ -تَعَالَىٰ- إِهْلَاكَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، وَأَنَّ أَكْثَرَهُمْ مُنْحَرِفُونَ؛ حَتَّىٰ أَهْلُ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يَقْضِي عَلَىٰ الْأَدْيَانِ بِالذَّهَابِ وَالِاضْمِحْلَالِ، ذَكَرَ أَنَّهُ لَوْ لَا أَنَّهُ جَعَلَ فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ وَالرَّدَىٰ، فَحَصَلَ مِنْ نَفْعِهِمْ، وَأُبْقِيَتْ بِهِ الْأَدْيَانُ؛ وَلَكِنَّهُمْ قَلِيلُونَ جِدًّا.

وَغَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ نَجَوْا بِاتِّبَاعِهِمُ الْمُرْسَلِينَ، وَقِيَامِهِمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ دِينِهِمْ، وَبِكَوْنِ حُجَّةِ اللهِ أَجْرَاهَا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»(١).

---

(١) «**تفسير السعدي**» (ص٣٩١) ط. مؤسسة الرسالة.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

«﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أَيِ: الْأُمُورُ الشَّنِيعَةُ الْمُسْتَقْبَحَةُ، فَيُحِبُّونَ أَنْ تَشْتَهِرَ الْفَاحِشَةُ ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيْ: مُوجِعٌ لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ؛ وَذَلِكَ لِغِشِّهِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَحَبَّةِ الشَّرِّ لَهُمْ، وَجَرَاءَتِهِ عَلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْوَعِيدُ لِمُجَرَّدِ مَحَبَّةِ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ، وَلِاسْتِحْلَاءِ ذَلِكَ بِالْقَلْبِ؛ فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ إِظْهَارِهِ وَنَقْلِهِ؟!!

وَسَوَاءٌ كَانَتِ الْفَاحِشَةُ صَادِرَةً أَوْ غَيْرَ صَادِرَةٍ.. وَكُلُّ هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصِيَانَةِ أَعْرَاضِهِمْ كَمَا صَانَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِمَا يَقْتَضِي الْمُصَافَاةَ، وَأَنْ يُحِبَّ أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فَلِذَلِكَ عَلَّمَكُمْ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَا تَجْهَلُونَهُ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النور: ١٩]: قَدْ أَحَاطَ بِكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ عَلَيْكُمْ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لَمَا بَيَّنَ لَكُمْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَالْمَوَاعِظَ وَالْحِكَمَ الْجَلِيلَةَ، وَلَمَا أَمْهَلَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

وَلَكِنَّ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ وَصْفُهُ اللَّازِمُ أَثَّرَ لَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ مَا لَنْ تُحْصُوهُ أَوْ تَعُدُّوهُ»(١). (*).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٥٦٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

الْمُجْتَمَعُ إِذَا مَا انْهَارَتْ أَخْلَاقُهُ، وَإِذَا مَا سَقَطَتْ أَخْلَاقُهُ فِي الْحَمْأَةِ الْوَبِيلَةِ، الْمُجْتَمَعُ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ الْفَاحِشَةُ؛ انْهَارَ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ عَلِمَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ فِي دَاخِلٍ وَخَارِجٍ أَنَّهُمْ لَنْ يَنَالُوا بِالْمُوَاجَهَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ذَا بَالٍ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ التَّرْكِيزُ كُلُّهُ عَلَىٰ بَثِّ الشُّبُهَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَىٰ إِثَارَةِ نَوَازِعِ الْعَصَبِيَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَبِإِثَارَةِ الشَّهَوَاتِ وَبَعْثِ النَّزَوَاتِ مِنْ مَكَامِنِهَا، فَإِذَا انْهَارَتِ الْأَخْلَاقُ؛ انْهَارَ الْمُجْتَمَعُ لَا مَحَالَةَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْحَرْبُ بِالْفَوَاحِشِ» - الْجُمُعَةَ ٢٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٢٨هـ| ٨-٦-٢٠٠٧م.

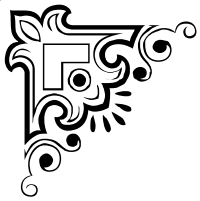

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ:
السِّحْرُ

إِنَّ تَعَاطِيَ السِّحْرَ وَإِتْيَانَ السَّحَرَةِ مِنْ أَشْنَعِ صُوَرِ الْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ، وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ ﷻ فَاعِلَهُ مُفْسِدًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١].

فَلَمَّا أَلْقَىٰ السَّحَرَةُ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ، وَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ؛ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ عليه السلام وَاثِقًا بِنَصْرِ اللهِ لَهُ: الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ وَأَلْقَيْتُمُوهُ هُوَ السِّحْرُ الْبَاطِلُ الَّذِي يُخَيِّلُ لِأَعْيُنِ النَّاسِ تَخْيِيلًا، وَلَا يَقْلِبُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، إِنَّ اللهَ سَيُهْلِكُهُ، وَسَيُظْهِرُ فَضِيحَةَ صَاحِبِهِ، إِنَّكُمْ بِسِحْرِكُمْ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَعَ سَيِّدِكُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بِتَخْرِيبِ الْعُمْرَانِ، وَقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ، وَظُلْمِ النَّاسِ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ أَوْ أَعْرَاضِهِمْ.(*).

وَالسِّحْرُ مُتَحَقِّقٌ وُقُوعُهُ وَوُجُودُهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا حَقِيقَةً لَمْ تَرِدِ النَّوَاهِي عَنْهُ فِي الشَّرْعِ، وَلَم يَرِد الْوَعِيدُ عَلَىٰ فَاعِلِهِ وَالْعُقُوبَاتُ الدِّينِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ عَلَىٰ مُتَعَاطِيهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْهُ أَمْرًا وَخَبَرًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [يونس: ٨١].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنَّ السِّحْرَ كَانَ مَوْجُودًا فِي زَمَنِ فِرْعَوْنَ، وَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَارِضَ بِهِ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- فِي الْعَصَا بَعْدَ أَنْ رَمَاهُ هُوَ وَقَوْمُهُ بِهِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٣٤-٣٧].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي ذَمِّ الْيَهُودِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٠١-١٠٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الْفَلَقِ: ٤]، وَالنَّفَّاثَاتُ: هُنَّ السَّوَاحِرُ يَعْقِدْنَ وَيَنْفُثْنَ.

ثَبَتَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ وغيرها أَنَّ السِّحْرَ حَقِيقَةٌ وُجُودُهُ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ:

فَمِنْهُ مَا يُمْرِضُ، وَمِنْهُ مَا يَقْتُلُ، وَمِنْهُ مَا يَأْخُذُ بِالْعُقُولِ، وَمِنْهُ مَا يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ، وَمِنْهُ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ!! لَكِنَّ تَأْثِيرَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ ﷻ؛ أَيْ: بِمَا قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ وَخَلَقَهُ عِنْدَمَا يُلْقِي السَّاحِرُ مَا أَلْقَىٰ.

فَالسِّحْرُ يُؤَثِّرُ بِمُوَافَقَتِهِ لِلْقَدَرِ الْكَوْنِيِّ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَهَىٰ عَنْهُ شَرْعًا، فَهَذَا الَّذِي يَكُونُ مِنْ هَذَا التَّقْدِيرِ إِنَّمَا هُوَ تَقْدِيرٌ كَوْنِيٌّ وَلَيْسَ بِتَقْدِيرٍ شَرْعِيٍّ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ السِّحْرَ لَيْسَ بِمُؤَثِّرٍ لِذَاتِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَإِنَّمَا يُؤَثِّرُ بِقَضَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَقَدَرِهِ، وَخَلْقِهِ -تَعَالَىٰ- وَتَكْوِينِهِ؛ لِأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالسِّحْرُ مِنَ الشَّرِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾ [الْبَقَرَة: ١٠٢]، وَهُوَ الْقَضَاءُ الْكَوْنِيُّ الْقَدَرِيُّ، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَمْ يَأْذَنْ بِذَلِكَ شَرْعًا.(*).

وَكَمَا نَهَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **عَنِ السِّحْرِ فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ** ﷺ **عَنْهُ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ**؛ فَقَالَ ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هُنَّ؟».

قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (مُحَاضَرَة ٥١ و٥٢)، الثُّلَاثَاءُ ١٥ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٢هـ| ١٣-٩-٢٠١١م.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الوصايا: باب قول الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا**﴾، (٢٧٦٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها، (٨٩)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

وَفِي كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ: «**وَإِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَرَمْيُ الْمُحْصَنَةِ، وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ**»(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا؛ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.(*).

وَيَحْمِي الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَعْمَالِ السِّحْرِ وَالْمَسِّ وَالْحَسَدِ: بِالْأَخْذِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ لَا يَمَسُّهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ يَدْرِي أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ شَيْءٌ إِلَّا بِقَدَرِ اللهِ، ثُمَّ بِالْأَخْذِ بِالْأَذْكَارِ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ، وَبِالصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَبِالْأَخْذِ بِخَتْمِ الصَّلَاةِ؛ مِنْ تِلَاوَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالْمُعَوِّذَاتِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَعْظَمُ ذَلِكَ التَّوْحِيدُ وَإِخْلَاصُ الْقَلْبِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*/٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان في «**صحيحه**» (٦٥٥٩)، والحاكم في «**المستدرك**» (١/ ٥٥٢)، وهو حديث طويل، وقد صحح العلامة الألباني هذا القدر منه لغيره في «**صحيح الترغيب**» (٣/ ٣٨٧، رقم ٣٥٤١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم ٦٨٥٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم ١٦٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْغِيبَةُ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ١٤٣٧هـ| ١٢-٢-٢٠١٦م.

(*/ ٢) مَقْطَعٌ بِعُنْوَان: «كَيْفَ يَحْمِي الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْمَسِّ وَالسِّحْرِ وَالْحَسَدِ؟!!».

مَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالسِّحْرِ وَيَمْتَهِنُونَهُ، وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّعْوَذَةِ وَالْمَخْرَقَةِ، وَمِنْهُمْ جُمْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ؛ لِأَنَّ السِّحْرَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْتِيَ ثَمَرَاتِهِ الْمُرَّةَ إِلَّا إِذَا كَفَرَ السَّاحِرُ، وَهُوَ يَكْفُرُ بِمُجَرَّدِ تَعَلُّمِهِ، عَلَّمَهُ أَمْ لَمْ يُعَلِّمْهُ، عَمِلَ بِهِ أَمْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ!

فَمَا أَكْثَرَ الْأَحْكَامَ الْعَظِيمَةَ فِي شَرْعِ اللهِ الْمُطَهَّرِ الَّتِي هِيَ غَائِبَةٌ عَنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَعْظَمَ الضَّرَرَ الَّذِي يُصِيبُ -بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْكَوْنِيِّ- كَثِيرًا مِنَ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَحْتَالُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ مَعَ شَيَاطِينِ الْجِنِّ عَلَىٰ إِيقَاعِ الضَّرَرِ بِهِمْ، وَالسِّحْرُ -كَمَا مَرَّ- يَقْتُلُ، وَيُمْرِضُ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَيُعْمِي، وَيُصِمُّ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ!!(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (مُحَاضَرَة ٥١ و٥٢)، الثُّلَاثَاءُ ١٥ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٢هـ| ١٣-٩-٢٠١١م.

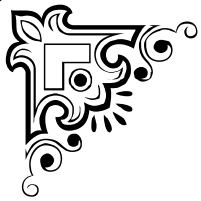
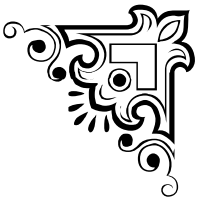

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ:
قَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَإِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ

إِنَّ مِنَ صُوَرِ الْفَسَادِ الْخَطِيرَةِ عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ: قَطْعَ الرَّحِمِ، وَإِفْسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَقد بَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ بَيَّنَ فِيمَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ أَرْحَامَهُمْ وَيَهْجُرُونَ إِخْوَانَهُمْ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَبِيحُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، هَؤُلَاءِ لَعَنَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَصَمَّهُمْ، وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ.(*).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

فَلَعَلَّكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَأَدْبَرْتُمْ -أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ- عَنِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ إِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ الْأَمْرِ وَأَصْحَابَ الْقُوَّةِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ الْحَضَارِيِّ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَىٰ، وَإِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَالْبَغْيِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَإِفْسَادِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَسُلُوكِهِمْ، وَإِفْسَادِ أَفْكَارِهِمْ وَمَفْهُومَاتِهِمْ، وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ؛ لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِكُمُ الشَّخْصِيَّةِ وَمَصَالِحِكُمُ الدُّنْيَوِيَّةِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «صِلُوا أَرْحَامَكُمْ» - الْجُمُعَةُ: ٧-٦-٢٠٠٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الرعد: ٢١].

وَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ النَّمِيمَةَ إِفْسَادًا؛ فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟**».

قَالُوا: «بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَىٰ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؛ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ**». أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني.(*).

النَّمِيمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تَؤُولُ إِلَىٰ الْعَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: «مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ».(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ «الأدب المفرد».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْكَذِبُ» - الْجُمُعَة ١٠ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ١٤٣٧هـ| ١٩-٢-٢٠١٦م.

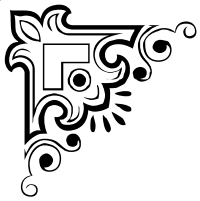
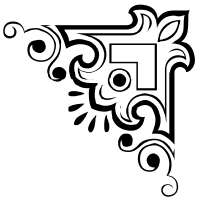

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ:
الْإِرْهَابُ زَعْزَعَةُ الْأَمْنِ وَإِشَاعَةُ الْفَوْضَى

إِنَّ إِشَاعَةَ الْفَوْضَى، وَبَثَّ الْأَرَاجِيفِ، وَالْإِرْهَابَ، وَكُلَّ مَا يَتَسَبَّبُ فِي زَعْزَعَةِ أَمْنِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَعْظَمِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.. إِنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ: أَنْ يُحَافَظَ عَلَىٰ أَمْنِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابَ الْمُفْضِيَةَ إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ وَالِاضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ؛ فَالْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ مِنَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ، قَدْ بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَبَيَّنَهُ لَنَا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ ﷺ

وَقَدْ سُئِلَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: الْأَمْنُ أَفْضَلُ أَمِ الصِّحَّةُ؟

قَالَ: «الْأَمْنُ أَفْضَلُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ شَاةً لَوِ انْكَسَرَتْ رِجْلُهَا فَإِنَّهَا تَصِحُّ بَعْدَ زَمَانٍ، ثُمَّ إِنَّهَا تُقْبِلُ عَلَىٰ الرَّعْيِ وَالْأَكْلِ، وَأَمَّا إِذَا رُبِطَتْ فِي مَوْضِعٍ وَرُبِطَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ذِئْبٌ فَإِنَّهَا مِنَ الْخَوْفِ تُمْسِكُ عَنِ الْعَلَفِ وَلَا تَتَنَاوَلُ شَيْئًا إِلَىٰ أَنْ تَمُوتَ؛ فَالْأَمْنُ أَفْضَلُ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا؛ فَإِنَّهَا تَتَعَافَىٰ بَعْدَ الْمَرَضِ، وَأَمَّا إِذَا اسْتَحْوَذَ الْخَوْفُ عَلَيْهَا قَتَلَهَا. هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الضَّرَرَ الْحَاصِلَ مِنَ الْخَوْفِ أَشَدُّ مِنَ الضَّرَرِ الْحَاصِلِ مِنْ أَلَمِ الْجَسَدِ».

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَجَابَ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ آمِنًا فَجَعَلَ مَكَّةَ بَلَدًا آمِنًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَنَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ-: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»(١).

نِعْمَةُ الْأَمَانِ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللَّهِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ كَكُلِّ النِّعَمِ تَتَطَلَّبُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا.

فَالنِّعْمَةُ صَيْدٌ، والشُّكْرُ قَيْدٌ، وشُكْرُهَا بِالِاعْتِرَافِ بِهَا بِالْقَلْبِ بَاطِنًا، وَالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمُنْعِمِ بِهَا بِاللِّسَانِ ظَاهِرًا، وَبِتَصْرِيفِهَا فِي مَرْضَاةِ الْمُنْعِمِ بِهَا وَالْمُسْدِيهَا.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ -نِعْمَةِ الْأَمَانِ فِي الْأَوْطَانِ، نِعْمَةِ الْأَمْنِ فِي الدِّيَارِ- مِنَ الْكُفْرِ بِهَا-: الْعَبَثُ بِاسْتِقْرَارِ الْوَطَنِ وَأَمْنِهِ.

مِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: الْمُغَامَرَةُ بِمُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ، وَتَضْيِيعُ مَاضِيهِ.

مِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: تَأْجِيجُ نِيرَانِ الْأَحْقَادِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، وَتَقْوِيضُ دَعَائِمِ بِنَائِهِ.(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**جَامِعِهِ**» فِي (الزُّهْدِ، ٣٤، رَقْمُ ٢٣٤٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**سُنَنِهِ**» فِي (الزُّهْدِ، ٩: ٥، رَقْمُ ٤١٤١)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**» (رَقْمُ ٢٣١٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «حَقِيقَةُ مَا يَحْدُثُ فِي مِصْرَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٢هـ| ٤-٢-٢٠١١م.

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ: الْإِرْجَافُ، وَ«قَدْ تَوَعَّدَ اللهُ جَلَّوَعَلَا أَهْلَ الشَّرِّ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٦٠] أَيْ: مَرَضُ شَكٍّ أَوْ شَهْوَةٍ.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أَيْ: الْمُخَوِّفُونَ الْمُرْهِبُونَ الْأَعْدَاءَ، الْمُتَحَدِّثُونَ بِكَثْرَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَعْمُولَ الَّذِي يَنْتَهُونَ عَنْهُ؛ لِيَعُمَّ ذَلِكَ كُلَّ مَا تُوحِي بِهِ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِمْ، وَتُوَسْوِسُ بِهِ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ مِنَ التَّعْرِيضِ بِسَبِّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالْإِرْجَافِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَتَوْهِينِ قُوَاهُمْ، وَالتَّعَرُّضِ لِلْمُؤْمِنَاتِ بِالسُّوءِ وَالْفَاحِشَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي الصَّادِرَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أَيْ: لَنَأْمُرَنَّكَ بِعُقُوبَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَلَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِكَ، وَلَيْسَ لَهُمْ قُوَّةٌ وَلَا امْتِنَاعٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ: لَا يُجَاوِرُونَكَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا قَلِيلًا، بِأَنْ تَقْتُلَهُمْ أَوْ تَنْفِيهُمْ.

وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ لِنَفْيِ أَهْلِ الشَّرِّ، الَّذِينَ يُتَضَرَّرُ بِإِقَامَتِهِمْ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْسَمُ لِلشَّرِّ، وَأَبْعَدُ مِنْهُ، وَيَكُونُونَ ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦١] أَيْ: مُبْعَدِينَ حَيْثُ وُجِدُوا، لَا يَحْصُلُ لَهُمْ أَمْنٌ، وَلَا يَقَرُّ لَهُمْ قَرَارٌ، يَخْشَوْنَ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُحْبَسُوا أَوْ يُعَاقَبُوا»[1].

---

(١) «تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ» (ص٦٧١).

إِنَّ الْأَرَاجِيفَ وَالشَّائِعَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ مَصَادِرَ شَتَّىٰ وَمَنَافِذَ مُتَعَدِّدَةٍ إِنَّمَا تَسْتَهْدِفُ التَّآلُفَ وَالتَّكَاتُفَ، وَتَسْعَىٰ إِلَىٰ إِثَارَةِ النَّعَرَاتِ وَالْأَحْقَادِ، وَنَشْرِ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ، وَتَرْوِيجِ السَّلْبِيَّاتِ، وَتَضْخِيمِ الْأَخْطَاءِ.

الْإِشَاعَاتُ وَالْأَرَاجِيفُ سِلَاحٌ بِيَدِ الْمُغْرِضِينَ وَأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْدَاءِ وَالْعُمَلَاءِ، يَسْلُكُهُ أَصْحَابُهُ؛ لِزَعْزَعَةِ الثَّوَابِتِ، وَهَزِّ الصُّفُوفِ وَخَلْخَلَةِ تَمَاسُكِهَا.

وَالْمُرْجِفُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الشَّائِعَاتِ الْكَاذِبَةَ، أَوْ يُبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِ قُوَّةِ الْأَعْدَاءِ وَقُدُرَاتِهِمْ، وَاسْتِحَالَةِ هَزِيمَتِهِمْ، وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ؛ مِنْ أَجْلِ تَخْذِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْوِيفِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَقَدْ لَعَنَهُمُ اللهُ حَيْثُمَا وُجِدُوا، وَتَوَعَّدَهُمْ بِأَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُمْ، وَيَقْطَعَ دَابِرَهُمْ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا أَنَّ هَذَا هُوَ دَيْدَنُ الْمُنَافِقِينَ فِي الْمُوَاجَهَاتِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَحَذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ السَّمَاعِ لَهُمْ، وَتَصْدِيقِهِمْ، وَإِشَاعَةِ تَخْوِيفَاتِهِمْ وَأَرَاجِيفِهِمْ، فَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا كَاشِفًا حَقِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَمُبَيِّنًا أَثَرَهُمْ فِي الْإِرْجَافِ وَالتَّخْوِيفِ، وَالتَّعْوِيقِ وَالتَّخْذِيلِ، وَنَشْرِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

فَبَيَّنَ أَنَّ وُجُودَهُمْ فِي صَفِّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا شَرًّا وَفَسَادًا، وَضَعْفًا وَهَوانًا، وَفِتْنَةً وَفُرْقَةً، وَيَعْظُمُ الْبَلَاءُ حِينَ يَكُونُ فِي الْمُسْلِمِينَ جَهَلَةٌ سُذَّجٌ، يَسْمَعُونَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْمَفْتُونِينَ، فَيَتَأَثَّرُونَ بِإِشَاعَاتِهِمْ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِتَخْوِيفَاتِهِمْ، وَيُصْبِحُونَ أَبْوَاقًا لَهُمْ، وَبَبَّغَاوَاتٍ يُرَدِّدُونَ أَرَاجِيفَهُمْ، وَيَنْشُرُونَ فِتَنَهُمْ، لِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾.

فَيَتَوَلَّدُ مِنْ سَعْيِ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَبُولِ هَؤُلَاءِ السَّاذَجِينَ مِنَ الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ، وَتَوْهِينِ عَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْعَابِهِمْ مَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَاءِ عَلَىٰ أُمَّتِهِمْ، وَأَكْبَرِ الْمَدَدِ لِأَعْدَائِهِمْ.(*).

إِنَّ مِنْ أَشْنَعِ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: تَرْوِيعَ الْآمِنِينَ، وَالِاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.. إِنَّ التَّطَرُّفَ وَالْعُنْفَ وَالْإِرْهَابَ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هِيَ أَعْمَالٌ خَطِيرَةٌ، لَهَا آثَارٌ فَاحِشَةٌ، وَفِيهَا اعْتِدَاءٌ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ وَظُلْمٌ لَهُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَصْدَرَيِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كِتَابَ اللهِ الْكَرِيمِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ ﷺ، فَلَنْ يَجِدَ فِيهِمَا شَيْئًا مِنْ مَعَانِي التَّطَرُّفِ وَالْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ الَّذِي يَعْنِي الِاعْتِدَاءَ عَلَىٰ الْآخَرِينَ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ٦-٥-٢٠١٦م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟!!» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ١٣-٩-٢٠١٣م.

الْإِرْهَابُ هُوَ: الْعُدْوَانُ الَّذِي يُمَارِسُهُ أَفْرَادٌ أَوْ جَمَاعَاتٌ أَوْ دُوَلٌ بَغْيًا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ دِينِهِ وَدَمِهِ وَعَقْلِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ.

وَيَشْمَلُ صُنُوفَ التَّخْوِيفِ وَالْأَذَىٰ وَالتَّهْدِيدِ وَالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمَا يَتَّصِلُ بِصُوَرِ الْحِرَابَةِ وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ.

وَكُلُّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْعُنْفِ أَوِ التَّهْدِيدِ يَقَعُ تَنْفِيذًا لِمَشْرُوعٍ إِجْرَامِيٍّ فَرْدِيٍّ أَوْ جَمَاعِيٍّ وَيَهْدِفُ إِلَىٰ إِلْقَاءِ الرُّعْبِ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ تَرْوِيعِهِمْ بِإِيذَائِهِمْ، أَوْ تَعْرِيضِ حَيَاتِهِمْ أَوْ حُرِّيَّتِهِمْ أَوْ أَمْنِهِمْ أَوْ أَحْوَالِهِمْ لِلْخَطَرِ.

وَمِنْ صُنُوفِهِ: إِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِالْبِيئَةِ، أَوْ بِأَحَدِ الْمَرَافِقِ أَوِ الْأَمْلَاكِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، أَوْ تَعْرِيضِ أَحَدِ الْمَوَارِدِ الْوَطَنِيَّةِ أَوِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْخَطَرِ.

فَكُلُّ هَذَا مِنْ صُوَرِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ جَلَّوَعَلَا الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وَلَقَدْ سَبَقَ الْإِسْلَامُ جَمِيعَ الْقَوَانِينِ فِي مُكَافَحَةِ الْإِرْهَابِ، وَحِمَايَةِ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ شُرُورِهِ، وَفِي مُقَدِّمَةِ ذَلِكَ حِفْظُ الْإِنْسَانِ، وَحِمَايَةُ حَيَاتِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ وَدِينِهِ وَعَقْلِهِ، مِنْ خِلَالِ حُدُودٍ وَاضِحَةٍ مَنَعَ الإسلامُ مِنْ تَجَاوُزِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وَتَحْقِيقًا لِهَذَا التَّكْرِيمِ مَنَعَ الْإِسْلَامُ بَغْيَ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَحَرَّمَ كُلَّ عَمَلٍ يُلْحِقُ الظُّلْمَ بِهِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَشَنَّعَ عَلَىٰ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّاسَ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُحَدِّدْ ذَلِكَ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [البقرة: ٢٠٥-٢٠٦].

وَأَمَرَ بِالِابْتِعَادِ عَنْ كُلِّ مَا يُثِيرُ الْفِتَنَ، وَحَذَّرَ مِنْ مَخَاطِرِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أَمَّا الْفَوْضَىٰ الَّتِي لَا تُفِيدُ، بَلْ لَا تَزِيدُ الْأُمُورَ إِلَّا شَرًّا فَلَيْسَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ.(*).

مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: التَّخْرِيبُ، وَالتَّحْرِيقُ، وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ، وَالِاعْتِدَاءُ عَلَىٰ الْمُمْتَلَكَاتِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، يَقُومُ بِهِ مَنْ يَقُومُ مِنَ الْمُنْتَمِينَ إِلَىٰ الْجَمَاعَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ مِنَ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ مِنَ الْقُطْبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الْمُفْسِدِينَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِرْهَابُ وَالْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ١٤-٧-٢٠١٧م.

فِي الْأَرْضِ الْمُحَارِبِينَ للهِ وَرَسُولِهِ السَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ الْبَاغِينَ لِهَذَا الْوَطَنِ الضَّيَاعَ وَالسُّقُوطَ فِي هَاوِيَةٍ لَا قَرَارَ لَهَا!!

الَّذِي يُفَكِّرُ بِعَقْلِهِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ نَاظِرًا إِلَىٰ الْمَآلَاتِ، وَأَمَّا الَّذِي لَا يَنْظُرُ إِلَّا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَهَذَا حَرِيٌّ بِهِ أَنْ يَسْقُطَ فِي هُوَّةٍ بِلَا قَرَارٍ، وَأَنْ يَذْهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ!!

الَّذِي يَنْظُرُ إِلَىٰ الْمَآلَاتِ هُوَ الَّذِي يُعْمِلُ عَقْلَهُ حَقًّا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م.

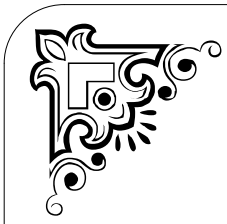
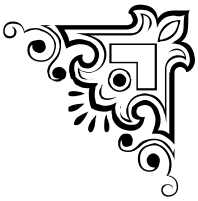

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْخُرُوجُ عَلَى الْحُكَّامِ

إِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ وَالْفَوْضَى: الْخُرُوجَ عَلَى الْحُكَّامِ؛ فَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَاعِدَةَ الَّتِي إِذَا مَا أَخَذَ بِهَا الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ، عَاشَ فِي تَوَاؤُمٍ وَسَلَامٍ، وَبَعُدَ عَنْهُ شَبَحُ الْفَوْضَىٰ وَالِانْقِسَامِ، وَمَتَىٰ مَا خُولِفَتِ الْقَاعِدَةُ، دَبَّتِ الْفَوْضَىٰ فِي أَرْجَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَانْتُهِكَتِ الْأَعْرَاضُ، وَسُلِبَتِ الْأَمْوَالُ، وَأُزْهِقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَقُطِّعَتِ الطُّرُقُ، فَلَا جُمُعَةَ وَلَا جَمَاعَةَ؛ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْفَوْضَىٰ الَّتِي تَعُمُّ الدِّيَارَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، -عَلَيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ- وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(١).

فَأَمَرَ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الْأُمُورِ مِمَّنْ وَلَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلَوْ كَانَ مُتَغَلِّبًا، وَلَكِنْ

---

(١) أخرج البخاري (٦٩٣، و٦٩٦، و٧١٤٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَاسَهُ زَبِيبَةٌ**».

طَاعَتُهُ فِي الْمَعْرُوفِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(١). (*).

وَإِذَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ بِإِمَامٍ جَائِرٍ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ جَوْرِهِ هُوَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؛ لِأَنَّ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ يُوجِبُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ أَكْثَرَ مِنْ ظُلْمِهِ.

فَيُصْبَرُ عَلَيْهِ كَمَا يُصْبَرُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ ظُلْمِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ لُقْمَانَ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وَهَذَا الْحَقُّ لِلْإِمَامِ بِالنُّصُوصِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهَا:

- حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ؛ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، و٧١٤٥، و٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث: عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْمُرُّ» - الثُّلَاثَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ٧- ٨-٢٠١٢م.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٤، و٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩)، من طريق: حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ العُطَارِدِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ**،...» الحديث.

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(١).

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ كَذَلِكَ: حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا تَأْمُرُنَا؟

قَالَ ﷺ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ(٢).

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَثَرَةٌ**»: هِيَ الِانْفِرَادُ بِالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ، وَتَعَلُّقٌ بِالْأَمْوَالِ.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**»: أَيْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ؛ إِمَّا بِالتَّقْصِيرِ فِيهَا، وَإِمَّا بِإِحْدَاثِ الْبِدَعِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ(٣): «فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَلِّي ظَالِمًا عَسُوفًا، فَيُعْطَىٰ حَقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِ وَلَا يُخْلَعُ، بَلْ يُتَضَرَّعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كَشْفِ أَذَاهُ، وَدَفْعِ شَرِّهِ وَإِصْلَاحِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩)، من طريق: عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ،...بإسناده، بلفظ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا**،...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٣، و٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(٣) «**شرح صحيح مسلم**» (١٢/ ٢٣٢).

* **وَنَهَى الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ عَنْ سَبِّ الْأُمَرَاءِ وَإِهَانَتِهِمْ**، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغُشُّوهُمْ، وَلَا تُبْغِضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ**». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(١).

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «إِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرءِ طَعْنُهُ عَلَىٰ إِمَامِهِ». أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ»(٢).

فَأَمَّا الْغَرْبِيُّونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَأَمَّا الْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ، وَالضُّلَّالُ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ؛ فَيَقُولُونَ: تُرِيدُونَ تَقْدِيسَ الْبَشَرِ، وَعِبَادَتَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؟!!

إِنَّمَا الرَّئِيسُ أَوِ الْإِمَامُ أَوْ وَلِيُّ الْأَمْرِ أَوِ الْحَاكِمُ عِنْدَ -هَؤُلَاءِ الضُّلَّالِ- مُوَظَّفٌ يَنْبَغِي أَنْ يُحَاسَبَ، وَأَنْ يُرَاجَعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، فَلَيْسَ بِوَلِيِّ أَمْرٍ، وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ وَلِيُّ أَمْرٍ، وَقَدْ غَابَ!!

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «**السنة**» (١٠١٥)، وأبو نعيم في «**أخبار أصبهان**» (١/ ٢٥٨)، والبيهقي في «**الشعب**» (١٠/ رقم ٧١٠١، و٧١١٧)، وجود إسناده الألباني في «**ظلال الجنة**» (١٠١٥).

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (١٢/ رقم ٨٩٥٩)، وابن عبد البر في «**التمهيد**» (٢١/ ٢٨٧)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**» (٤٧/ ١٩٠)، من طريق: بإسناد صحيح، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ، قَالَ: وَقَفَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَىٰ بَابِ مُعَاوِيَةَ فَحَجَبَهُ لِشُغْلٍ كَانَ فِيهِ فَكَأَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: «**مَنْ يَأْتِ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ قَامَ وَقَعَدَ، وَمَنْ يَجِدْ بَابًا مُغْلَقًا يَجِدْ إِلَىٰ جَنْبِهِ بَابًا رَجَا فَتْحًا إِنْ سَأَلَ أُعْطِيَ وَإِنِ اسْتَعَاذَ أُعِيذَ، وَإِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرْءِ طَعْنُهُ عَلَىٰ إِمَامِهِ**».

هَذَا النَّهْيُ لَيْسَ تَعْظِيمًا لِذَوَاتِ الْأُمَرَاءِ -النَّهِيُ عَنْ سَبِّهِمْ، عَنِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، عَنِ الطَّعْنِ فِيهِمْ، عَنْ شَتْمِهِمْ، عَنْ إِهَانَتِهِمْ- النَّهِيُ عَنْ ذَلِكَ لَيْسَ تَعْظِيمًا لِذَوَاتِ الْأُمَرَاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعِظَمِ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي وُكِلَتْ إِلَيْهِمْ فِي الشَّرْعِ، وَالَّتِي لَا يُقَامُ بِهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مَعَ وُجُودِ سَبِّهِمْ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ؛ لِأَنَّ سَبَّهُمْ يُفْضِي إِلَىٰ عَدَمِ طَاعَتِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِلَىٰ إِيغَارِ صُدُورِ الْعَامَّةِ عَلَيْهِمْ، مِمَّا يَفْتَحُ مَجَالًا لِلْفَوْضَىٰ الَّتِي لَا تَعُودُ عَلَىٰ النَّاسِ إِلَّا بِالشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ، كَمَا أَنَّ نَتِيجَتَهُ وَثَمَرَتَهُ سَبُّهُمْ وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَقِتَالُهُمْ، وَتِلْكَ هِيَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَىٰ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَلَعَلَّهُ لَا يُعْرَفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَىٰ ذِي سُلْطَانٍ؛ إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ».

وَقَدْ نَبَّهَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَىٰ خُطُورَةِ مُخَالَفَةِ هَذَا الْأَصْلِ، وَذَكَرَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ، فَقَالَ فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ»(٢): «شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ إِيجَابَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ؛ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ -وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ-، وَهَذَا كَالْإِنْكَارِ عَلَىٰ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ فِتْنَةٍ وَشَرٍّ إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٩١).

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ١٢).

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ، وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَىٰ مُنْكَرٍ، فَطُلِبَ إِزَالَتُهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَىٰ بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَىٰ تَغْيِيرِ الْبَيْتِ، وَرَدِّهِ عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ -مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ- خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ؛ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ؛ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ، وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ.

وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَىٰ الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ». (*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «عَقِيدَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حُقُوقِ الْحُكَّامِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٦/ ٦/ ٢٠١٤م.

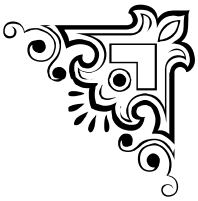

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ:
اعْتِدَاءُ الْجُهَّالِ عَلَى ثَوَابِتِ الدِّينِ

إِنَّ مِنْ أَجْلَى صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: التَّعَدِّيَ عَلَى ثَوَابِتِ الدِّينِ، وَالتَّهَجُّمَ عَلَى أُصُولِهِ بِاسْمِ حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ وَالتَّعْبِيرِ.. «إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ أَعْطَىٰ كُلَّ إِنْسَانٍ حُرِّيَّتَهُ؛ لَكِنْ مَا الْحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَةُ؟ الْحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ: التَّحَرُّرُ مِنْ قُيُودِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ قُيُودِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ؛ وَلِهَذَا كُلُّ مَنْ خَالَفَ الشَّرْعَ؛ فَإِنَّهُ رَقِيقٌ، وَلَيْسَ بِحُرٍّ، وَإِلَىٰ هَذَا يُشِيرُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيْتٍ أَرَىٰ أَنْ يُكْتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ، يَقُولُ[1]:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ... فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

يَعْنِي: إِنَّهُمْ تَحَرَّرُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ، وَهُوَ الرِّقُّ للهِ ﷻ؛ وَلَكِنَّهُمْ ابْتُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ لِمَنْ يَطْلُبُ حُرِّيَّتَهُ فِي أَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ: إِنَّنَا إِذَا أَعْطَيْنَاكَ حُرِّيَّتَكَ، وَقُلْتَ مَا شِئْتَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ؛ فَإِنَّكَ قَدْ بُلِيتَ بِرِقٍّ آخَرَ، وَهُوَ رِقُّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ.

---

(١) «**الكافية الشافية**»: فصل فيما أعد الله تعالىٰ في الجنة لأوليائه...، (ص٩١٧، البيت٤٩٥٢).

وَعَلَىٰ هَذَا؛ فَيُقَالُ: إِنَّ قَمْعَ الْكُفْرِ -وَلَوْ تَظَاهَرَ الْإِنْسَانُ بِالْإِسْلَامِ- مِنْ وَاجِبَاتِ الْإِمَامِ، وَعَلَىٰ هَذَا يَجِبُ عَلَىٰ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ نُظَرَاءَ يَنْظُرُونَ فِي كُلِّ مَا يُكْتَبُ فِي الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَكُلِّ مَا يُنْشَرُ فِي الْإِذَاعَاتِ الْمَسْمُوعَةِ وَالْمَرْئِيَّةِ، وَكُلِّ مَا يُذْكَرُ فِي الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ الْمُؤَلَّفَةِ، فَيَجْعَلُ أُمَنَاءَ عُلَمَاءَ يُولِيهِمُ الْحَقَّ فِي النَّظَرِ فِي كُلِّ مَا يُنْشَرُ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَيَمْنَعُونَ كُلَّ شَيْءٍ يَدْعُو إِلَىٰ الْفُسُوقِ وَالْمُجُونِ وَالْكُفْرِ، وَهَذَا يَجِبُ عَلَىٰ الْإِمَامِ.

وَمَعْنَىٰ قَوْلِنَا: «يَجِبُ عَلَىٰ الْإِمَامِ كَذَا»: لَيْسَ حُرُوفًا تُكْتَبُ عَلَىٰ وَرَقٍ، بَلْ هِيَ مَسْؤُولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ يُسْأَلُ عَنْهَا الْإِمَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ﷻ؛ فَعَلَيْهِ مَسْؤُولِيَّةُ قَمْعِ الْكُفْرِ بِأَنْوَاعِهِ وَأَشْكَالِهِ»[1]. (*).

قَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ[3]: «لَا شَيْءَ أَوْجَبُ عَلَىٰ السُّلْطَانِ مِنْ رِعَايَةِ أَحْوَالِ الْمُتَصَدِّرِينَ لِلرِّيَاسَةِ فِي الْعِلْمِ؛ فَمِنَ الْإِخْلَالِ بِهَا يَنْتَشِرُ الشَّرُّ، وَيَكْثُرُ الْأَشْرَارُ، وَيَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ التَّظَاهُرُ وَالتَّنَافُرُ...، وَلَمَّا تَرَشَّحَ قَوْمٌ لِلزَّعَامَةِ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَأَحْدَثُوا بجَهْلِهِمْ بِدَعًا اسْتَغْنَوْا بِهَا عَامَّةً، وَاسْتَجْلَبُوا بِهَا مَنْفَعَةً وَرِيَاسَةً، فَوَجَدُوا مِنَ الْعَامَّةِ مُسَاعَدَةً بِمُشَارَكَةٍ لَهُمْ، وَقُرْبِ جَوْهَرِهِمْ مِنْهُمْ، وَفَتَحُوا بِذَلِكَ طُرُقًا مُنْسَدَّةً، وَرَفَعُوا بِهِ سُتُورًا مُسْبَلَةً، وَطَلَبُوا مَنْزِلَةَ الْخَاصَّةِ،

---

(١) شرح «**العقيدة السفارينية**»: (ص٦٧٦-٦٧٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ السَّفَّارِينِيَّةِ» (الْمُحَاضَرَة: ٦٣)، الْأَحَدُ ١٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣١هـ| ٢٨-٣-٢٠١٠م.

(٣) «**الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**»: (ص١٨٢-١٨٣)، بتصرف يسير.

فَوَصَلُوهَا بِالْوَقَاحَةِ، وَبِمَا فِيهِمْ مِنَ الشَّرَهِ، فَبَدَّعُوا الْعُلَمَاءَ وَجَهَّلُوهُمْ؛ اغْتِصَابًا لِسُلْطَانِهِمْ، وَمُنَازَعَةً لِمَكَانِهِمْ، فَأَغْرَوْا بِهِمْ أَتْبَاعَهُمْ؛ حَتَّىٰ وَطَئُوهُمْ بِأَظْلَافِهِمْ وَأَخْفَافِهِمْ، فَتَوَلَّدَ بِذَلِكَ الْبَوَارُ وَالْجَوْرُ الْعَامُّ وَالْعَارُ».

تَأَمَّلْ فِي كَلَامِهِ، وَانْظُرْ فِي حَالِ النَّاسِ حَوْلَكَ!

يَنْفُونَ الْعِلْمَ عَنِ الْأَئِمَّةِ جُمْلَةً!! الصَّحَابَةُ لَا حُرْمَةَ لَهُمْ!! مِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُغَفَّلٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُفْتَرٍ عَلَىٰ اللهِ ﷻ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ!! وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَا وَزْنَ لَهُمْ وَلَا قِيمَةَ وَلَا خَطَرَ!! هَكَذَا يَقُولُونَ!!

هَذِهِ الْفِرْقَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ تُشَكِّكُ الْمُسْلِمِينَ فِي أُصُولِ دِينِهِمْ، يَعْتَدُونَ عَلَىٰ ثَوَابِتِ الْأُمَّةِ، يُهَرْطِقُونَ، يُجَدِّفُونَ، يَتَزَنْدَقُونَ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَيُطَالِبُونَ النَّاسَ بِحِفْظِ أَمْنِهِمْ، النَّاسُ يَمُوتُونَ مِنْ أَجْلِهِمْ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَنُوا فِي الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ مَرَّةً، وَفِي النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً، وَفِي أَصْحَابِهِ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا فِي الْأَئِمَّةِ؛ فَالْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ مُرَبَّعُ الشَّرِّ، لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ، وَلَا قِيمَةَ لَهُمْ، وَلَا وَزْنَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ، وَلَا فِي الْخُلُقِ، وَلَا فِي الدِّينِ!!

مَنْ يَتَحَمَّلُ هَذَا؟!! وَمَنْ يَقْبَلُهُ؟!!

عَلَىٰ السُّلْطَانِ أَنْ يَقْطَعَ أَلْسِنَتَهُمْ، هَؤُلَاءِ أَضَرُّ عَلَىٰ الْأُمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**».

قَالُوا: «وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالْبَزَّارُ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَأَبِي يَعْلَىٰ: «**الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (٢/ ١٣٣٩، رقم٤٠٣٦)، وأحمد: (٢/ ٢٩١ و٣٣٨)، والحاكم: (٤/ ٤٦٥ و٥١٢، رقم٨٤٣٩ و٨٥٦٤).

وفي رواية -عند أحمد والحاكم (٨٥٦٤)-: «**السفيه يتكلم في أمر العامة**».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وكذا صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ٥٠٨، رقم١٨٨٧).

(٢) أخرجه أحمد وابنه عبد الله في زوائده علىٰ «**المسند**»: (٣/ ٢٢١)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٦/ ٣٧٨، رقم٣٧١٥)، والطحاوي في «**شرح المشكل**»: (١/ ٤٠٤-٤٠٥، رقم٤٦٤ و٤٦٥ و٤٦٦)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**»: (٢/ ٩٣، رقم١٣٥٦)، وفي «**مسند الشاميين**»: (٤/ ١٩، رقم٢٦١٤)، من حديث: أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي رواية -عند أحمد-: «**إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً**،... »، وفي أخرىٰ -عند الطحاوي (٤٦٤)-: «**مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ**».

قال ابن كثير في «**البداية والنهاية**»: (١٩/ ١١٩): «هذا إسناد جيد قوي»، وكذا ابن حجر في «**فتح الباري**»: (١٣/ ٨٤)، ووثق رجال إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ٥٠٩، رقم١٨٨٧)، فقال: «رجاله ثقات لولا عنعنة ابن إسحاق».

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «**السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**».

وَفِي بَعْضِهَا: «**مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**».

إِذَا تَكَلَّمَ الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، إِذَا تَكَلَّمَ الْفُوَيْسِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَالْفُوَيْسِقُ: تَصْغِيرُ فَاسِقٌ؛ لِلتَّحْقِيرِ وَالتَّقْلِيلِ، وَالْبَيَانِ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ وَحِطَّةٍ، سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ فُوَيْسِقًا، يَكُونُ هَذَا فِي السَّنَوَاتِ الْخَدَّاعَاتِ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ.

فِتْنَةٌ مَاحِقَةٌ، قَائِمَةٌ وَقَاعِدَةٌ، وَالنَّاسُ فِي حَيْرَةٍ، وَفِي أَمْرٍ مَرِيجٍ، انْبَهَمَتِ الْمَعَالِمُ، اخْتَلَطَتِ السُّبُلُ، صَارَ النَّاسُ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَسِيرُونَ؟!!

وَيُخْبِرُهُمُ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ أَنَّ خَلَاصَهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَىٰ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ.

أَكْثَرُ الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ فِي مُعَالَجَةِ الْوَاقِعِ الْمَرِيضِ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ الَّذِي ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ: فُوَيْسِقٌ تَافِهٌ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، سَفِيهٌ، وَقَدْ تَجْتَمِعُ هَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا فِيهِ.

وَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ إِلَىٰ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، وَأَخَصُّ خَصَائِصِهَا حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ، فَيَجْعَلُونَ حُرِّيَّةَ الرَّأْيِ حَظْرًا وَحِكْرًا عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْمَحُونَ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَتَكَلَّمَ!!

حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ لَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ؛ فَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ نَصِيبٌ!!

هَذِهِ هِيَ الَّتِي أَوْصَلَتِ الْأُمَّةَ إِلَىٰ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ.

هَؤُلَاءِ عِنْدَمَا يَجِدُونَ أَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا يُعْتَدَىٰ عَلَىٰ ذَاتِهِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيَقَعُ فِي التَّجْدِيفِ بَعْضُ مَنْ هُوَ كَافِرٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ؛ لَا يَنْبِسُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِبِنْتِ شَفَةٍ؛ يَكِيلُونَ بِمِكْيَالَيْنِ.

إِذَا كَتَبَ رَجُلٌ قَصِيدَةً يَعْتِدِي فِيهَا عَلَىٰ رَبِّنَا جَلَّوَعَلَا، وَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ؛ خَرَجَ مَنْ يُدَافِعُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الشِّعْرِ، وَلُغَةُ الشِّعْرِ لَيْسَتْ بِخَاضِعَةٍ لِمُوَاضَعَاتِ اللُّغَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ؛ فَإِنَّ كَلَامَهُ لَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ شِعْرًا!!

جَهَلَةٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَقِيدَةَ، يَعْرِفُونَ مَا جَاءَ بِهِ مَاركِس مِنَ التَّظَاهُرَاتِ، وَالِاعْتِصَامَاتِ، وَالْعِصْيَانِ الْمَدَنِيِّ، وَالْفَوْضَىٰ الْجَالِبَةِ لِلشَّعَارَاتِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا الثَّوْرَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ: «الْإِخَاءُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْمُسَاوَاةُ».

الْحُرِّيَّةُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَىٰ هَذَا الْعَبَثِ وَهَذَا الْكُفْرِ!! يَقُولُونَ: هِيَ حُرِّيَّةُ التَّعْبِيرِ!!

أَيُّ حُرِّيَّةٍ؟!!

هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْكُبُونَ النِّفْطَ عَلَىٰ نَارِ الْإِرْهَابِ وَالتَّطَرُّفِ.

هَؤُلَاءِ هُمُ الْخَطَرُ الْأَوَّلُ..

هَؤُلَاءِ يَنْخَرُونَ فِي عِظَامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ..

وَهُمْ أَشَدُّ خَطَرًا عَلَيْهَا؛ عَلَىٰ دِينِهَا، وَمُسْتَقْبَلِهَا، وَمُسْتَقْبَلِ أَبْنَائِهَا، وَعَلَىٰ سَلَامَةِ تُرَابِهَا، وَوَحْدَةِ أَرَاضِيهَا.

هَؤُلَاءِ أَخْطَرُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَعْدَائِهَا الظَّاهِرِينَ الْحَقِيقِيِّينَ؛ مِنَ الْأَمْرِيكِيِّينَ إِلَىٰ الْيَهُودِ، إِلَىٰ الصَّلِيبِيِّينَ، إِلَىٰ التَّكْفِيرِيِّينَ، وَمَا شِئْتَ، وَمَنْ شِئْتَ!!

لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ!(*).

يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وِلَايَةً أَنْ يَحْجُرَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ فِي كَلامِهِمْ وَشُبُهَاتِهِمْ، وَهُوَ أَهَمُّ -أَيْ: هَذَا الحَجْرُ- مِنَ الحَجْرِ الصِّحيِّ لِلأَوْبِئَةِ الفَتَّاكَةِ؛ لِأَنَّ الأَوْبِئَةَ الفَتَّاكَةَ الَّتِي يُحْجَرُ عَلَىٰ مَنْ حَمَلَ جَرَاثِيمَهَا إِنَّمَا تُصِيبُ الأَبْدَانَ، وَقَدْ تَصِيرُ هَذِهِ الأَرْوَاحُ الَّتِي تُصَابُ أَبْدَانُهَا إِلَىٰ الجَنَّةِ؛ كَالمَطْعُونِ مَثَلًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الطَّاعُونَ إِذَا نَزَلَ بِمَكَانٍ؛ يَحْرُمُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ فِيهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ، وَعَلَىٰ مَنْ كَانَ خَارِجَهُ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَهَذَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الحَجْرِ الصِّحِّيِّ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِإِصَابَةِ بَدَنٍ، ثُمَّ يَصِيرُ مَنْ صَبَرَ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَنِعْمَ القَرَارُ، فَالمَطْعُونُ فِي الجَنَّةِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ.

فَكَيْفَ بِإِصَابَةِ القُلُوبِ؟!!

فَكَيْفَ بِإِصَابَةِ أُمُورِ الآخِرَةِ؟!!

فَكَيْفَ بِجَرِّ المُسْلِمِينَ بَلْ سَوْقِ المُسْلِمِينَ سَوْقًا إِلَىٰ النَّارِ، وَبِئْسَ القَرَارُ؟!!

بِتَشْكِيكِهِمْ فِي مَوْرُوثِهِم، فِي عَقِيدَتِهِمُ الَّتِي تُبَدَّلُ جَهَارًا نَهَارًا!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «إِرْهَابُ الطَّابُورِ الْخَامِسِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٦هـ| ٢٤-٤-٢٠١٥م.

وَلَا يُمَكَّنُ أَحَدٌ؛ لَا المُؤسَّسَةُ الدِّينِيَّةُ الرَّسْمِيَّةُ مِنْ أَنْ تَعْتَرِضَ اعْتِرَاضًا صَرِيحًا، لَا تُمَكَّنُ مِنْ أَنْ تَأْخُذَ عَلَىٰ أَيْدِي هَؤُلَاءِ بحُجَّةِ حُرِّيَّةِ الرَّأْيِ!! حُرِّيَّةُ الرَّأيِ فِيمَا يَخُصُّهُم، أَمَّا فِيمَا يَخُصُّ المُسْلِمِينَ المُؤمِنِينَ المُتَّقِينَ، وَيَخُصُّ عُلَمَاءَهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا حُرِّيَّةَ لِلرَّأْيِ حِينَئِذٍ.

هَؤلَاءِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللهِ وَتُرَاثِ الأُمَّةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ هَؤلَاءِ هُمْ أَكْبَرُ الدَّاعِينَ إِلَىٰ التَّطَرُّفِ وَالتَّكفِيرِ وَالإِرهَابِ، هَؤلَاءِ يَتَحَمَّلُونَ وِزْرَ الدِّمَاءِ -عَلَيْهِم مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ-.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «رَدُّ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ| ٢٣-١٢-٢٠١٦م.

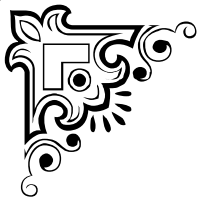

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ:
عَدَمُ الِاهْتِمَامِ بِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ

إِنَّ مِنَ الْآفَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَلْحَقُ بِالْمُسْلِمِينَ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ- عَدَمَ الِاهْتِمَامِ بِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً سَلِيمَةً مِنَ الشَّوَائِبِ، وَالْمَبَادِئِ الدَّخِيلَةِ عَلَيْنَا مِنْ أَعْدَاءِ الْأُمَّةِ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ: أَنَّ الْأُمَّ الْمُسْلِمَةَ قَدْ تَتَسَاهَلُ فِي شِرَاءِ مَلَابِسِ أَطْفَالِهَا، تَشْتَرِي لِلْبَنَاتِ الْمَلَابِسَ الْقَصِيرَةَ أَوِ الَّتِي تَحْمِلُ كَلِمَاتٍ أَجْنَبِيَّةً قَدْ تَكُونُ ضِدَّ الْإِسْلَامِ، وَضِدَّ تَعَالِيمِهِ.

وَتَجِدُ هَذَا شَائِعًا، وَيَشْتَرِيهِ الْجُهَّالُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ قِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةِ، يَذْهَبُونَ إِلَىٰ الْأَسْوَاقِ وَيَشْتَرُونَ الْمَلَابِسَ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهَا الْعِبَارَاتُ الْأَجْنَبِيَّةُ، وَرُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ كُفْرًا -وَقَدْ تَكُونُ-.

وَقَدْ تَكُونُ زِرَايَةً بِلَابِسِهَا؛ يَعْنِي مُمْكِنٌ إِذَا مَا تَرْجَمَهَا مُتَرْجِمٌ أَنْ يَجِدَهَا مَثَلًا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ: خُذُوا الْحِمَارَ.. خُذُوا الْحِمَارَ!! وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ بَغْلٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا!! لَا يَدْرِي شَيْئًا!!

وَأَحْيَانًا يَأْتُونَ بِالْمَلَابِسِ الَّتِي عَلَيْهَا شِعَارُ النَّصَارَىٰ كَالصَّلِيبِ!!

وَكَذَلِكَ تُقِيمُ الْأُمُّ احْتِفَالًا عِنْدَ إِكْمَالِ وَلَدِهَا الْعَامَ مِنْ تَارِيخِ وِلَادَتِهِ وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِـ «عِيدِ مِيلَادِ الطِّفْلِ»!!، أَوْ أَنْ تَطْلُبَ الْأُمُّ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يُلْحِقَ وَلَدَهُمَا بِمَدَارِس تَعْلِيمِ الْمُوسِيقَىٰ أَوْ مَا أَشْبَهَ، أَوِ الرَّقْصِ أَوِ الْبَالِيه.

وَمِنْ صُوَرِ عَدَمِ مُبَالَاةِ الْأُمِّ فِي تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا: حِلَاقَةُ شَعْرِ وَلَدِهَا بِأَشْكَالٍ غَرِيبةٍ مُؤسِفَةٍ تُشْبِهُ الْكُفَّارَ!!

فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ أَنْ تَحْرِصَ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَىٰ تَنْشِئَةِ أَوْلَادِهَا كَمَا نَشَأَ أَوْلَادُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، حَيْثُ تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِاللهِ.

وَعَلَىٰ الْمَرْأَةِ أَنْ تَحُثَّ أَوْلَادَهَا عَلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ تَرْبِطَ هَمَّهُم بِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ تَصْرفَهُمْ عَنْ تَوَافِهِ الْأُمُورِ؛ لِتُسْهِمَ فِي إِنْشَاءِ الْجِيلِ الَّذِي يُعِيدُ لِلْأُمَّةِ مَجْدَهَا الْمَفْقودَ، وَعِزَّتَهَا الْمَسْلُوبَةَ.(*).

إِنَّ الْغَزْوَ الْفِكْرِيَّ الْعَقَدِيَّ دَمَّرَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ جَوَانِبَ مِنْ عَقَائِدِهِمْ، وَغَيَّبَ شَرِيعَتَهُمْ، وَجَعَلَ نَظَرَهُمْ إِلَىٰ تُرَاثِهِمْ وَمَاضِيهِمْ وَتَارِيخِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ نَظَرَ الْمُحْتَقِرِ؛ لِأَنَّ أَعْدَاءَ الإِسْلَامِ قَدْ أَفْهَمُوا الشُّعُوبَ الَّتِي فُرِّغَتْ ثَقَافِيًّا مِنْ تُرَاثِهَا وَدِينِهَا وَعَقِيدَتِهَا أَنَّ هَذَا الْمَاضِيَ هُوَ الَّذِي أَخَّرَهُمْ تَمَامًا!!(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «نَصَائِحُ لِلْأُخْتِ الْمُسْلِمَةِ» - الْخَمِيسُ: ٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٩ هـ| ٤-٩-٢٠٠٨م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «حَقِيقَةُ مَا يَحْدُثُ فِي مِصْرَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٢هـ| ٤-٢-٢٠١١م.

فَأَنْ نَتْرُكَ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي الطُّرُقَاتِ، وَفِي مَنَابِتِ السُّوءِ، يَنْشَئُونَ عَلَىٰ الْفَاسِدِ مِنَ الْأَخْلَاقِ، وَالذَّمِيمِ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَيَشْتَدُّ عُودُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَتُشْحَنُ قُلُوبُهُمْ وَتُشْغَلُ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نُرِيدُهُمْ بَعْدَ بُلُوغِهِمْ سِنَّ الرُّشْدِ مُسْلِمِينَ، يَعْمَلُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَنَا، وَلَا يُلْقُونَ بَالًا لِأَوَامِرِنَا وَحَدِيثِنَا، وَيَكُونُ مَثَلُنَا كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَجْنِيَ مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ!! وَنَقْضِي الْوَقْتَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ.

إِذَا ابْتَعَدَ شَبَابُ الْإِسْلَامِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَظَلُّوا فِي مُنْحَنَيَاتِ الطَّرِيقِ؛ فَالْحَقُّ أَنَّ السَّبَبَ الْأَوَّلَ عَنْ بُعْدِ الشَّبِيبَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ هُمُ: الْآبَاءُ، وَالْأُمَّهَاتُ، وَأَوْلِيَاءُ الْأُمُورِ.

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنْ يَبْحَثَ الْأَبُ لِأَبْنَائِهِ عَنْ خَيْرِ لِبَاسٍ، وَأَفْضَلِ طَعَامٍ، وَأَهْنَأِ سَكَنٍ، ثُمَّ لَا يَبْحَثُ لَهُمْ عَنِ الْمُرَبِّي الْفَاضِلِ، وَلَا يُلَقِّنُهُمُ الصَّحِيحَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ؛ جَاهِلًا أَوْ مُتَجَاهِلًا أَنَّهُ بِذَلِكَ يُلْقِي بِفِلْذَةِ كَبِدِهِ فِي نَارٍ مُسْتَعِرَةٍ لَا يَخْبُو إِوَارُهَا، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، فَأَيْنَ الرَّحْمَةُ فِي قُلُوبِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ؟!!

وَأَيْنَ الشَّفَقَةُ؟!!

وَأَيْنَ الْحَنَانُ؟!!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «رَمَضَانُ وَنَكْبَةُ فِلَسْطِينَ» - الْجُمُعَة ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

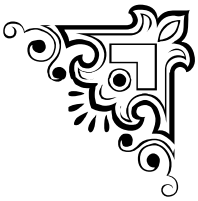

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ:
الِاتِّجَارُ فِي الْمُخَدِّرَاتِ والْإِدْمَانُ

عِبَادَ اللهِ! يَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَفِي الْمُحَارَبَةِ للهِ -تَعَالَىٰ- وَلِرَسُولِهِ ﷺ؛ الِاتِّجَارُ فِي الْمُخَدِّرَاتِ وَالْمُفَتِّرَاتِ، وَكُلِّ مَا مِن شَأْنِهِ أَنْ يُغَيِّبَ الْوَعْيَ أَوْ يُذْهِبَهُ، أَوْ يُضْعِفَ الْعَقْلَ أَوْ يَحْجُبَهُ، بَلْ يَدْخُلُ الْمُتَعَاطِي لِلْمُخَدِّرَاتِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِهَا وَبِأَيِّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِهَا فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَالْمُحَارَبَةِ للهِ وَرَسُولِهِ، ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَيَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُهُ؛ إِذْ يُضَيِّعُ الْمُدْمِنُ نَفْسَهُ وَيُضَيِّعُ مَنْ يَعُولُ، بَلْ يُضَيِّعُ حَقَّ دِينِهِ، وَحَقَّ وَطَنِهِ، وَيُهْدِرُ طَاقَاتِهِ، وَيُبَدِّدُ ثَرْوَاتِهِ، ويُفَرِّطُ فِي عِرْضِهِ وَشَرَفِهِ، وَيَظْلِمُ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا يَفْعَلُ وَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ؟!!

فَمِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ الْمُحَارَبَةِ للهِ وَرَسُولِهِ؛ تَضْيِيعُ شَبَابِ الْأُمَّةِ وَشِيبِهَا، وَإِهْدَارُ ثَرْوَاتِهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا، وَتَضْيِيعُ الذُّرِّيَّةِ وَالْأَهْلِ، وَالتَّفْرِيطُ فِي حَقِّ الدِّينِ، وَحَقِّ الْوَطَنِ.

كُلُّ هَذَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حَدُّ الْحِرَابَةِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ كَمَا بَيَّنَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَكَمَا طَبَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَنِ اسْتَحَقَّهُ.

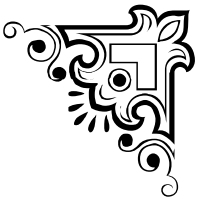

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ:
التَّفْرِيطُ فِي الْأَمَانَةِ

كُلُّ مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً، كُلُّ مَنْ حُمِّلَ أَمَانَةً فَلَمْ يَرْعَهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَلَمْ يُؤَدِّهَا حَقَّ أَدَائِهَا فَهُوَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، مِنَ الْمُحَارِبِينَ للهِ وَرَسُولِهِ، مِنَ السَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَاد.

كُلُّ مَنْ لَا يَقُومُ بِالْحِيَاطَةِ عَلَىٰ مَنِ اسْتَرْعَاهُ اللهُ إِيَّاهُمْ مِنْ مَرْؤُوسِيهِ حَتَّىٰ لَا يَعِيثُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، حَتَّىٰ لَا يَتَّخِذَهُمْ أَعْدَاءُ هَذَا الدِّينِ وَأَعْدَاءُ هَذَا الْوَطَنِ وَسِيلَةً لِلْوُصُولِ إِلَىٰ أَغْرَاضِ الْمُنْحَرِفِينَ الْفَاسِدِينَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدِينَ قَدِ اسْتَشْرَوْا فِي الْمَصَالِحِ كُلِّهَا، فِي الْمُؤَسَّسَاتِ جَمِيعِهَا، يَنْخِرُونَ فِي قَوَاعِدِهَا كَالسُّوسِ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْجَسَدِ الْحَيِّ كَالْخَلَايَا السَّرَطَانِيَّةِ الْمُمِيتَةِ، وَهُمْ يُضَلِّلُونَ رُؤَسَاءَهُمْ وَيَرْفَعُونَ إِلَيْهِمْ كَذِبًا وَزُورًا مَا لَيْسَ لَهُ حَقٌّ وَلَا حَقِيقَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ مُنْحَرِفُونَ مُنْتَمُونَ انْتِمَاءً بَاطِلًا بِدْعِيًّا ظَالِمًا، يُحَارِبُ الدِّينَ وَيُحَارِبُ الْوَطَنَ، يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، وَيَتَسَتَّرُونَ عَلَىٰ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يُخَرِّبُونَ وَيُدَمِّرُونَ

وَيُحرِّقُونَ وَيُرِيقُونَ الدِّمَاءَ الْمَعْصُومَةَ بِالْإِيمَانِ وَبِالْأَمَانِ، وَيُبَدِّدُونَ ثَرْوَاتِ الْوَطَنِ الْمَكْلُومِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِمْ وَصَارُوا كَلًّا عَلَيْهِ وَوَبَاءً لَهُ وَمَرَضًا فِيهِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م.

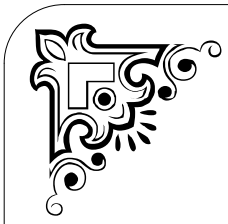

عَوَاقِبُ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ

إِنَّ اسْتِفْحَالَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْعَالَمِ يُؤَدِّي إِلَى مُسَاوِئَ وَآثَارٍ سَلْبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ؛ فَـ«مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ الْحَاضِرَةَ، وَتَقْطَعُ النِّعَمَ الْوَاصِلَةَ، فَتُزِيلُ الْحَاصِلَ، وَتَمْنَعُ الْوَاصِلَ، فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ مَا حُفِظَ مَوْجُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ مَفْقُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَآفَةً، سَبَبًا يَجْلِبُهُ، وَآفَةً تُبْطِلُهُ، فَجَعَلَ أَسْبَابَ نِعَمِهِ الْجَالِبَةِ لَهَا طَاعَتَهُ، وَآفَاتِهَا الْمَانِعَةَ مِنْهَا مَعْصِيَتَهُ، فَإِذَا أَرَادَ حِفْظَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ أَلْهَمَهُ رِعَايَتَهَا بِطَاعَتِهِ فِيهَا، وَإِذَا أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ خَذَلَهُ حَتَّىٰ عَصَاهُ بِهَا.

وَمِنَ الْعَجِيبِ عِلْمُ الْعَبْدِ بِذَلِكَ مُشَاهَدَةً فِي نَفْسِهِ وَ مُشَاهَدَةً فِي غَيْرِهِ، وَسَمَاعًا لِمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ أُزِيلَتْ نِعَمُ اللهِ عَنْهُمْ بِمَعَاصِيهِ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ، كَأَنَّهُ مُسْتَثْنًىٰ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، أَوْ مَخْصُوصٌ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ، وَكَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَىٰ النَّاسِ لَا عَلَيْهِ، وَوَاصِلٌ إِلَىٰ الْخَلْقِ لَا إِلَيْهِ!!

فَأَيُّ جَهْلٍ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا؟!! وَأَيُّ ظُلْمٍ لِلنَّفْسِ فَوْقَ هَذَا؟!! فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ»[1].

---

(١) «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ١٠٦) ط. دار المعرفة - المغرب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

أَيْ: إِذَا أَرَدْنَا إِهْلَاكَ أَهْلِ قَرْيَةٍ لِظُلْمِهِمْ؛ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالطَّاعَةِ، وَغَيْرُهُمْ تَبَعٌ لَهُمْ فَعَصَوْا، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِالْعَذَابِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ، فَاسْتَئْصَلْنَاهُمْ بِالْهَلَاكِ الْعَامِّ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨].

أَيْ: وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ أَهْلَكْنَاهُمْ حِينَ أَلْهَتْهُمْ مَعِيشَتُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَكَفَرُوا وَطَغَوْا، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ لِلْعِبَادِ، نُمِيتُهُمْ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَيْنَا، فَنُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[العنكبوت: ٣٦-٤٠].

أَيْ: وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ (مَدْيَنَ) أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ! اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَارْجُوا بِعِبَادَتِكُمْ جَزَاءَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا تَنْشُرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ وَالْمَعَاصِي مُكْثِرِينَ مِنْهَا مُقِيمِينَ عَلَيْهَا، وَقُولُوا: رَبُّنَا اللهُ وَحْدَهُ، وَتُوبُوا مِنْ مَعَاصِيكُمْ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ خَالِقُكُمْ.

فَكَذَّبَ أَهْلُ (مَدْيَنَ) شُعَيْبًا فِي الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّهِ، فَأَخَذَتْهُمُ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ صَرْعىٰ هَالِكِينَ.

وَأَهْلَكْنَا عَادًا وَثَمُودَ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ خَرَابُهَا وَخَلَاؤُهَا مِنْهُمْ، وَحُلُولُ نِقْمَتِنَا بِهِمْ جَمِيعًا، وَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمُ الْقَبِيحَةَ، فَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَعَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، مُعْجَبِينَ بِهِ، يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىٰ وَصَوَابٍ، بَيْنَمَا هُمَ فِي الضَّلَالِ غَارِقُونَ.

وَأَهْلَكْنَا قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ جَمِيعًا مُوسَىٰ بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ، فَتَعَاظَمُوا فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَكْبَرُوا فِيهَا، وَلَمْ يَكُونُوا لِيَفُوتُونَا، بَلْ كُنَّا مُقْتَدِرِينَ عَلَيْهِمْ.

فَأَخَذْنَا كُلًّا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ بِعَذَابِنَا بِسَبَبِ ذَنْبِهِ؛ فَمِنْهُمُ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مَنْضُودٍ، وَهُمْ قَوْمُ لُوطٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَهُمْ قَوْمُ صَالِحٍ وَقَوْمُ شُعَيْبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ كَقَارُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا، وَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُهْلِكَ هَؤُلَاءِ بِذُنُوبِ غَيْرِهِمْ، فَيَظْلِمُهُمْ بِإِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بِتَنَعُّمِهِمْ فِي نِعَمِ رَبِّهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ جَلَّ وَعَلَا.

«**الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي تَضُرُّ**، وَلَا بُدَّ أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقَلْبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الْأَبْدَانِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا فِي الضَّرَرِ، وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ وَدَاءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي؟!!

فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، دَارِ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَىٰ دَارِ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمَصَائِبِ؟!!

وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ صُورَتَهُ أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا، وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ، وَبُدِّلَ بِالْقُرْبِ بُعْدًا، وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً، وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا، وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلَظَّىٰ، وَبِالْإِيمَانِ كُفْرًا، وَبِمُوَالَاةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ أَعْظَمَ عَدَاوَةٍ وَمُشَاقَّةٍ، وَبِزَجَلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ زَجَلَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْكَذِبِ وَالزُّورِ وَالْفُحْشِ، وَبِلِبَاسِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْدِيسِ لِبَاسَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، فَهَانَ عَلَىٰ اللهِ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ غَايَةَ السُّقُوطِ، وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ -تَعَالَىٰ- فَأَهْوَاهُ، وَمَقَتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ فَأَرْدَاهُ، فَصَارَ قَوَّادًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ، رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ، فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَارْتِكَابِ نَهْيِكَ!!

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّىٰ عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رَأْسِ الْجِبَالِ؟!!

وَمَا الَّذِي سَلَّطَ الرِّيحَ الْعَقِيمَ عَلَىٰ قَوْمِ عَادٍ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُمْ مَوْتَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ، وَدَمَّرَتْ مَا دَمَّرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ، حَتَّىٰ صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَمِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟!!

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّىٰ قُطِّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟!!

وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَىٰ اللُّوطِيَّةِ حَتَّىٰ سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ نَبِيحَ كِلَابِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ عَلَىٰ أُمَّةٍ سِوَاهُمْ، وَلِإِخْوَانِهِمْ أَمْثَالُهَا، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ؟!!

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمِ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلَلِ، فَلَمَّا صَارَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلَظَّىٰ؟!!

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ نُقِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، فَالْأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ، وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرَقِ؟!!

وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ؟!!

وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا؟!!

وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ يَس بِالصَّيْحَةِ حَتَّىٰ خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟!!

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَقَتَّلُوا الرِّجَالَ، وَسَبَوْا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا؟!!

وَمَا الَّذِي سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ، مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَخَرَابِ الْبِلَادِ، وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ، وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٦٧].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟!!

فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ! مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللهِ ﷻ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ، بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ، تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَصَارُوا إِلَىٰ مَا تَرَىٰ»(١)»(٢).

إِنَّ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ، وَالزُّرُوعِ، وَالثِّمَارِ، وَالْمَسَاكِنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «إِذَا وَلِيَ الظَّالِمُ سَعَىٰ بِالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فَيَحْبِسُ اللهُ بِذَلِكَ الْقَطْرَ، فَيَهْلِكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بَحْرُكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَىٰ مَاءٍ جَارٍ فَهُوَ بَحْرٌ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في «**الزهد**» (٧٦٣)، وسعيد ابن منصور في «**السنن**» (٢/ ٢٩٠)، وابن أبي الدنيا في «**العقوبات**» (ص١٩) وغيرهم عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ به، وسنده صحيح.

(٢) «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ٤٢-٤٤) ط. دار المعرفة - المغرب.

(٣) أخرجه الطبري في «**التفسير**» (٤/ ٢٤٠) بلفظ: «إذا تولىٰ سعىٰ في الأرض بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطرَ، فيُهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحب الفساد...»، وسنده حسن.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ: بَحْرُكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَىٰ مَاءٍ»(١).

وَقَالَ قَتَادَةُ: «أَمَّا الْبَرُّ فَأَهْلُ الْعَمُودِ -يَعْنِي: أَهْلَ الْبَادِيَةِ يَنْصِبُونَ الْخِيَامَ، وَيَتَّخِذُونَ الْأَعْمِدَةَ لِنَصْبِهَا-، وَأَمَّا الْبَحْرُ فَأَهْلُ الْقُرَىٰ وَالرِّيفِ»(٢).

وَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَاءَ الْعَذْبَ بَحْرًا، فَقَالَ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فَاطِرٍ: ١٢].

وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ بَحْرٌ حُلْوٌ وَاقِفٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ، وَالْبَحْرُ الْمِلْحُ هُوَ السَّاكِنُ، فَسَمَّىٰ الْقُرَىٰ الَّتِي عَلَيْهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ بِاسْمِ تِلْكَ الْمِيَاهِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ قَالَ: الذُّنُوبُ»(٣).

أَرَادَ أَنَّ الذُّنُوبَ سَبَبُ الْفَسَادِ الَّذِي ظَهَرَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي ظَهَرَ هُوَ الذُّنُوبُ نَفْسُهَا فَتَكُونُ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ لَامَ الْعَاقِبَةِ وَالتَّعْلِيلِ، وَعَلَىٰ الْأَوَّلِ فَالْمُرَادُ بِالْفَسَادِ: النَّقْصُ وَالشَّرُّ وَالْآلَامُ الَّتِي يُحْدِثُهَا اللهُ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ مَعَاصِي الْعِبَادِ، فَكُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ عُقُوبَةً، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «كُلَّمَا أَحْدَثْتُمْ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللهُ لَكُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ عُقُوبَةً»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «**التفسير**» (٢٠/ ١٠٨) بسندين يعضد كل منهما الآخر.

(٢) أخرجه الطبري في «**التفسير**» (٢٠/ ١٠٨) بسند صحيح.

(٣) خرجه الطبري في «**التفسير**» (٢٠/ ١٠٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «**العقوبات**» (ص٤٩) بسند حسن، عن مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ -هو ابن يوسف الثقفي-، يَقُولُ: فذكره.

وَالظَّاهِرُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْفَسَادَ الْمُرَادَ بِهِ الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، فَهَذَا حَالُنَا، وَإِنَّمَا أَذَاقَنَا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَلَوْ أَذَاقَنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ»(١).

فَاللهم سَلِّمْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

«**مِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ مَا يَحُلُّ بِالْأَرْضِ مِنَ الْخَسْفِ وَالزَّلَازِلِ، مَعَ مَحْقِ الْبَرَكَةِ مِنَ الْأَرْضِ**، وَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ دِيَارِ ثَمُودَ، فَمَنَعَ أَصْحَابَهُ مِنْ دُخُولِ دِيَارِهِمْ إِلَّا وَهُمْ بَاكُونَ، وَمِنْ شُرْبِ مِيَاهِهِمْ، وَمِنَ الِاسْتِسْقَاءِ مِنْ آبَارِهِمْ، حَتَّىٰ أَمَرَ أَنْ يُعْلَفَ الْعَجِينُ الَّذِي عُجِنَ بِمِيَاهِهِمْ لِلنَّوَاضِحِ(٢)، لِتَأْثِيرِ شُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ فِي الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ تَأْثِيرُ شُؤْمِ الذُّنُوبِ فِي نَقْصِ الثِّمَارِ وَمَا تَرَىٰ بِهِ مِنَ الْآفَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» فِي ضِمْنِ حَدِيثٍ قَالَ: «وُجِدَ فِي خَزَائِنَ بَنِي أُمَيَّةَ حَبَّةُ حِنْطَةٍ بِقَدْرِ نَوَاةِ التَّمْرَةِ، وَهِيَ فِي صُرَّةٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: هَذَا كَانَ يَنْبُتُ فِي زَمَنٍ مِنَ الْعَدْلِ»(٣).

---

(١) «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ٦٤، ٦٥) ط. دار المعرفة - المغرب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْحِجْرِ -أَرْضِ ثَمُودَ- فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ «فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ».

(٣) أخرجه أحمد في «**المسند**» (١٣/ ٣٣١، رقم ٧٩٤٩) عَنْ أَبِي قَحْذَمٍ، قَالَ: «وُجِدَ فِي زَمَنِ زِيَادٍ أَوِ ابْنِ زِيَادٍ صُرَّةٌ فِيهَا حَبٌّ أَمْثَالُ النَّوَىٰ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: هَذَا نَبَتَ فِي زَمَانٍ كَانَ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْعَدْلِ».

وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ أَحْدَثَهَا اللهُ ﷻ بِمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَعَنْ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِ الصَّحْرَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْهَدُونَ الثِّمَارَ أَكْبَرَ مِمَّا هِيَ الْآنَ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُهَا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا، وَإِنَّمَا حَدَثَتْ مِنْ قُرْبٍ»(١).

وَكَذَلِكَ مَا يَسْتَشْرِي فِي النَّاسِ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَمْرَاضِ، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا أَحْدَثَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ لَمَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ وَاسْتَعْلَنُوا بِهَا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ.

بَلْ إِنَّ «الذُّنُوبَ تُؤَثِّرُ فِي صِوَرِ الْخَلْقِ وَفِي أَشْكَالِهِمْ؛ فَقَدْ رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَكَذَا هُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّىٰ الْآنَ**»(٢).

فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنَ الظَّلَمَةِ وَالْفَجَرَةِ وَالْخَوَنَةِ، يُخْرِجُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ﷺ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، وَيَقْتُلُ الْمَسِيحُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ وَيُقِيمُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَتُخْرِجَ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا، وَتَعُودُ كَمَا كَانَتْ، حَتَّىٰ إِنَّ الْعِصَابَةَ مِنَ النَّاسِ لَيَأْكُلُونَ الرُّمَّانَةَ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيَكُونُ الْعُنْقُودُ مِنَ الْعِنَبِ وِقْرَ بَعِيرٍ، وَأَنَّ اللَّقْحَةَ الْوَاحِدَةَ -وَهِيَ النَّاقَةُ الْحَلُوبُ- تَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ(٣)؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَمَّا طَهُرَتْ مِنَ الْمَعَاصِي ظَهَرَتْ فِيهَا آثَارُ

---

(١) «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ٦٥) ط. دار المعرفة - المغرب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال.

الْبَرَكَةِ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- الَّتِي مَحَقَتْهَا الذُّنُوبُ وَالْكُفْرُ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ فِي الْأَرْضِ بَقِيَتْ آثَارُهَا سَارِيَةً فِي الْأَرْضِ تَطْلُبُ مَا يُشَاكِلُهَا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ آثَارُ تِلْكَ الْجَرَائِمِ الَّتِي عُذِّبَتْ بِهَا الْأُمَمُ، فَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْأَرْضِ مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَاصِي مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْجَرَائِمِ، فَتَنَاسَبَتْ كَلِمَةُ اللهِ وَحُكْمَهُ الْكَوْنِيُّ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَكَانَ الْعَظِيمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِلْعَظِيمِ مِنَ الْجِنَايَةِ، وَالْأَخَفُّ لِلْأَخَفِّ، وَهَكَذَا يَحْكُمُ -سُبْحَانَهُ- بَيْنَ خَلْقِهِ فِي دَارِ الْبَرْزَخِ وَدَارِ الْجَزَاءِ»(١).

«**وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ**، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: «مَا نَزَلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَىٰ: ٣٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الْأَنْفَال: ٥٣].

فَأَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَهُ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ بِأَسْبَابِ سُخْطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غُيِّرَ عَلَيْهِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

---

(١) «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ٦٥، ٦٦) ط. دار المعرفة - المغرب.

فَإِنْ غَيَّرَ الْمَعْصِيَةَ بِالطَّاعَةِ، غَيَّرَ اللهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بِالْعَافِيَةِ، وَالذُّلَّ بِالْعِزِّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرَّعْدِ: ١١].

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ، عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **أَنَّهُ قَالَ**: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! لَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَىٰ مَا أُحِبُّ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَىٰ مَا أَكْرَهُ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يُحِبُّ إِلَىٰ مَا يَكْرَهُ، وَلَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَىٰ مَا أَكْرَهُ، فَيَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَىٰ مَا أُحِبُّ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يَكْرَهُ إِلَىٰ مَا يُحِبُّ»(١).

إِنَّ الْمَعَاصِي تَمْحَقُ بَرَكَةَ الْعُمُرِ، وَبَرَكَةَ الرِّزْقِ، وَبَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَبَرَكَةَ الْعَمَلِ، وَبَرَكَةَ الطَّاعَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ تَمْحَقُ بَرَكَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَا مُحِقَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الْجِنِّ: ١٦-١٧].

---

(١) رواه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٤/ ١٩٥)، وكذا الطبراني في «**المعجم الأوسط**» (٤٨٤٤). قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٣٠٧): وفيه عيسىٰ بن مسلم الطهوي، قال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه وبقية رجاله ثقات إن شاء الله.. «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ٧٤) ط. دار المعرفة – المغرب.

وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَىٰ وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ**»(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ»(٢). (*).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن حبان (٣٢٣٩) وغيرهما، وأخرجه الطبراني في «**الكبير**» (٨/ ١٦٦)، والحاكم في «**المستدرك**» (٢/ ٥) من حديث أبي أمامة، وصححه الألباني في «**الصحيحة**» (٢٦٠٧).

(٢) «**الداء والدواء**» لابن القيم (ص ٨٤) ط. دار المعرفة - المغرب.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «سَبَبُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٣هـ| ٦-٤-٢٠١٢م.

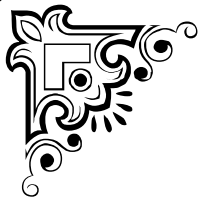

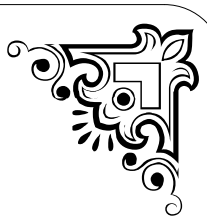

عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَمَّا كَانَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجَرَائِمِ الْعَظِيمَةِ؛ ذَمَّ اللهُ الْمُفْسِدِينَ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾؛ أَيْ: هِيَ كَافِيَتُهُ عُقُوبَةً فِي ذَلِكَ.(*).

وَتَوَعَّدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ بِمُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

«حَيْثُ كَفَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ، وَحَارَبُوا رُسُلَهُ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَصَارُوا دُعَاةً إِلَىٰ الضَّلَالِ، فَاسْتَحَقُّوا مُضَاعَفَةَ الْعَذَابِ، كَمَا تَضَاعَفَ جُرْمُهُمْ، وَكَمَا أَفْسَدُوا فِي أَرْضِ اللهِ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)، (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ)، السَّبْتُ ١٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٨هـ| ١٩-١١-٢٠١٦م.

(٢) «**تفسير السعدي**» (ص٤٤٦) ط. مؤسسة الرسالة.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

«لَمَّا ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ بِعَكْسِ مَا وَصَفَهُمْ بِهِ، فَقَالَ عَنْهُمْ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾؛ أَيْ: مِنْ بَعْدِ مَا أَكَّدَهُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ أَيْدِي رُسُلِهِ، وَغَلَّظَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالِانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ، بَلْ قَابَلُوهُ بِالْإِعْرَاضِ وَالنَّقْضِ، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾؛ فَلَمْ يَصِلُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا وَصَلُوا الْأَرْحَامَ وَلَا أَدَّوُا الْحُقُوقَ، بَلْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَابْتِغَائِهَا عِوَجًا.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾؛ أَيِ: الْبُعْدُ وَالذَّمُّ مِنَ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: وَهِيَ الْجَحِيمُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

«ذَكَرَ -تَعَالَىٰ- حَالَ الْمُتَوَلِّي عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَوَلَّىٰ إِلَىٰ خَيْرٍ، بَلْ إِلَىٰ شَرٍّ، فَقَالَ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾؛ أَيْ: فَهُمَا أَمْرَانِ، إِمَّا الْتِزَامٌ لِطَاعَةِ اللهِ، وَامْتِثَالٌ لِأَوَامِرِهِ، فَثَمَّ الْخَيْرُ وَالرُّشْدُ وَالْفَلَاحُ،

(١) «تفسير السعدي» (ص٤١٧) ط. مؤسسة الرسالة.

وَإِمَّا إِعْرَاضٌ عَنْ ذَلِكَ، وَتَوْلٍ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، فَمَا ثَمَّ إِلَّا الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ بِالْعَمَلِ بِالْمَعَاصِي وَقَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَقَطَّعُوا أَرْحَامَهُمْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِأَنْ أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَقَرُبُوا مِنْ سُخْطِ اللهِ.

﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾؛ أَيْ: جَعَلَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يُبْصِرُونَهُ، فَلَهُمْ آذَانٌ، وَلَكِنْ لَا تَسْمَعُ سَمَاعَ إِذْعَانٍ وَقَبُولٍ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُ سَمَاعًا تَقُومُ بِهِ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ، وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا الْعِبَرَ وَالْآيَاتِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ بِهَا إِلَىٰ الْبَرَاهِينِ وَالْبَيِّنَاتِ»(١).

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَى- عَنْ عَدَمِ مَحَبَّتِهِ لِلْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ، وَعَدَمِ رِضَاهُ عَنْهُمْ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؛ أَيْ: لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَلَا مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ ذَلِكَ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

«إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ بُغَاةَ الْبَغْيِ وَالْمَعَاصِي»(٣).(*/٢).

---

(١) «**تفسير السعدي**» (ص٧٨٨) ط. مؤسسة الرسالة.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)، (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ)، السَّبْتُ ١٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٨هـ| ١٩-١١-٢٠١٦م.

(٣) «**تفسير الطبري**» (١٩/ ٦٢٥).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٢٥).

وَأَخْبَرَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ مَنْ سَعَىٰ فِي أَرْضِ اللهِ بِمَا يَكْرَهُهُ، وَعَمِلَ فِيهَا بِمَعَاصِيهِ(١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

«كُلُّ مُفْسِدٍ عَمِلَ عَمِلَا وَاحْتَالَ كَيْدًا، أَوْ أَتَىٰ بِمَكْرٍ؛ فَإِنَّ عَمَلَهُ سَيَبْطُلُ وَيَضْمَحِلُّ، وَإِنْ حَصَلَ لِعَمَلِهِ رَوَجَانٌ فِي وَقْتٍ مَا، فَإِنَّ مَآلَهُ الِاضْمِحْلَالُ وَالْمَحْقُ.

وَأَمَّا الْمُصْلِحُونَ الَّذِينَ قَصْدُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَجْهُ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَهِيَ أَعْمَالٌ وَوَسَائِلُ نَافِعَةٌ مَأْمُورٌ بِهَا، فَإِنَّ اللهَ يُصْلِحُ أَعْمَالَهُمْ وَيُرَقِّيهَا، وَيُنَمِّيهَا عَلَىٰ الدَّوَامِ»(٢).

وَأَمَّا عُقُوبَاتُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٣- ٣٤].

«المُحَارِبُونَ للهِ وَرَسُولِهِ هُمُ الذينَ بَارَزُوهُ بِالعَدَاوَةِ، وَأَفْسَدُوا في الأَرْضِ؛ بِالكُفرِ، والقَتْلِ، وَأَخْذِ الأَمْوَالِ، وَإِخَافَةِ السُّبُلِ، وَالمَشْهُورُ أَنَّ هذه الآيَةَ الكَرِيمَةَ

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ١٦٢).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٣٧١) ط. مؤسسة الرسالة.

فِي أَحْكَامِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ الذينَ يَعْرِضُونَ للنَّاسِ فِي القُرَىٰ والبَوَادِي، فَيَغْصِبُونَهُم أَمْوَالَهُم، وَيَقْتُلُونَهُم، وَيُخِيفُونَهُم فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ سُلُوكِ الطريقِ التي هُم بها، فَتَنْقَطِعُ بِذَلِكَ.

فَأَخْبَرَ اللهُ أنَّ جَزَاءَهُم وَنَكَالَهُم عند إِقَامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِم أَنْ يُفْعَلَ بهم وَاحِدٌ مِنْ هذه الأُمُورِ.

واخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ: هَل ذَلِكَ علىٰ التَّخْيِيرِ، وَأَنَّ كُلَّ قَاطِعِ طَرِيقٍ يَفْعَلُ به الإِمَامُ أو نَائِبُهُ مَا رَآهُ المَصْلَحَةَ مِن هذه الأُمُورِ المَذْكورةِ في الآيةِ، وَهَذَا ظَاهِرُ اللفْظِ، أَو أَنَّ عُقُوبَتَهُم تَكُونُ بِحَسَبِ جَرَائِمِهِم؟[1].

فَكُلُّ جَرِيمَةٍ لَهَا قِسْطٌ يُقَابِلُهَا كَمَا تَدُلُّ عليه الآيَةُ بِحِكْمَتِهَا وَمُوَافَقَتِهَا لِحِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُم إِنْ قَتَلُوا وَأَخَذُوا مَالًا، تَحَتَّم قَتْلُهُم وَصَلْبُهم؛ حَتَّىٰ يُشْتَهَرُوا وَيَرْتَدِعَ غَيْرُهُم، وَإِنْ قَتَلُوا وَلَم يَأْخُذُوا مَالًا تَحَتَّمَ قَتْلُهُم فَقَط، وَإِنْ أَخَذُوا مَالًا وَلَم يَقْتُلُوا تَحَتَّم أَنْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُم مِن خِلَافٍ، اليَدُ اليُمْنَىٰ وَالرِّجْلُ اليُسْرَىٰ.

وَإِنْ أَخَافُوا النَّاسَ وَلَم يَقْتُلُوا وَلَا أَخَذُوا مَالًا، نُفُوا مِنَ الأَرْضِ، فَلَا يُتْرَكُونَ يَأْوُونَ فِي بَلَدٍ حَتَّىٰ تَظْهَرَ تَوْبَتُهُم، وَهَذَا قَوْلُ ابنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا- وكثيرٍ مِنْ الأَئِمَّةِ علىٰ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ التَّفَاصِيلِ[2].

---

(١) «**جامع البيان**» (١٠/ ٢٥٧ - ٢٦٨، تحقيق شاكر).

(٢) أخرجه الشافعي في «الأم» (٦/ ١٦٤)، وعبد الرزاق في «**المصنف**» (١٨٥٤٤)، والقاسم بن سلام في «**الناسخ والمنسوخ**» (٢٦٠)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**» =

﴿ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: ذَلِكَ النَّكَالُ ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أَيْ: فضيحةٌ وَعَارٌ، ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّ قَطْعَ الطَّرِيقِ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ، مُوجِبٌ لِفَضِيحَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ، وَأَنَّ فَاعِلَهُ -أي أنَّ قَاطِعَ الطريقِ- مُحَارِبٌ للهِ ولِرَسُولِهِ، وإذا كانَ هذا شَأْنَ عِظَمِ هذه الجَرِيمَةِ؛ عُلِمَ أنَّ تَطْهِيرَ الأَرْضِ مِنَ المُفْسِدِينَ وَتَأمِينَ السُّبُلِ والطُّرُقِ عنِ القَتْلِ وَأَخْذِ الأَمْوَالِ وَإِخَافَةِ النَّاسِ؛ عُلِمَ أنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الحَسَنَاتِ، وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، وَأَنَّهُ إِصْلَاحٌ فِي الأَرْضِ كَمَا أَنَّ ضِدَّهُ إِفْسَادٌ في الأرضِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مِنْ هَؤُلَاءِ المُحَارِبِينَ، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي فَيَسْقُطُ عَنْهُ ما كانَ للهِ مِنْ تَحَتُّمِ القَتْلِ، والصَّلْبِ، وَالقَطْعِ، والنَّفْيِ، وَمِنْ حَقِّ الآدَمِيِّ أَيْضًا إِنْ كَانَ المُحَارِبُ كَافِرًا ثُمَّ أَسْلَمَ، فَإِنْ كانَ المُحَارِبُ مُسْلِمًا؛ فَإِنَّ حَقَّ الآدَمِيِّ لا يَسْقُطُ عَنْهُ؛ مِنَ القَتْلِ، وَأَخْذِ المَالِ.

=

(٢٩٠١٨، و٣٢٧٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٥٧ و٢٦٠، رقم ١١٨٢٩، و١١٨٤٢)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الْآيَة، قَالَ: «إِذَا حَارَبَ الرَّجُلُ فَقَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ قُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ مِنْ خِلَافٍ وَصُلِبَ، وَإِذَا قَتَلَ وَلَمْ يَأْخُذِ الْمَالَ قُتِلَ، وَإِذَا أَخَذَ الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ مِنْ خِلَافٍ، وَإِذَا لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَأْخُذِ الْمَالَ نُفِيَ»، وهو قول سعيد بن جبير، وقتادة، وأبو مجلز، والحسن، وعطية العوفي، ومحمد بن كعب القرظي، والسدي، وعطاء الْخُرَاسَانِيّ، والربيع بن أنس، وإبراهيم، وغيرهم.

وَدَلَّ مَفْهُومُ الآيةِ عَلَىٰ أَنَّ تَوْبَةَ المُحَارِبِ بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ أَنَّهَا لَا تُسْقِطُ عَنْهُ شَيْئًا، وَالحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرَةٌ، وَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ قَبْلَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ تَمْنَعُ مِن إِقَامَةِ الحَدِّ فِي الحِرَابَةِ؛ فَغَيْرُهَا مِن الحُدُودِ إِذَا تَابَ مِن فِعْلِهَا قَبْلَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ مِن بَابِ أَوْلَىٰ»(١). (*).

اللهُ ﷻ قَدْ حَفِظَ لِلنَّاسِ أَدْيَانَهُمْ، وَأَبْدَانَهُمْ، وَأَرْوَاحَهُمْ، وَأَعْرَاضَهُمْ، وَعُقُولَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، بِمَا شَرَعَهُ مِنَ الْحُدُودِ وَالْعُقُوبَاتِ الَّتِي تُحَقِّقُ الْأَمْنَ الْعَامَّ وَالْخَاصَّ، وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وَتَطْبِيقُ ذَلِكَ كَفِيلٌ بِإِشَاعَةِ الْأَمْنِ وَالِاطْمِئْنَانِ، وَرَدْعِ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ الْإِجْرَامَ وَالِاعْتِدَاءَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمُمْتَلَكَاتِهِمْ.(*/٢).

---

(١) «**تفسير السعدي**» (ص ٢٢٩، مؤسسة الرسالة).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَة ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْإِرْهَابُ وَالْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ١٤-٧-٢٠١٧م.

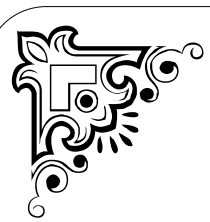

سُبُلُ مُحَارَبَةِ الْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ

إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ حَارَبَ الْفَسَادَ مُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، بَدْءًا مِنْ فَسَادِ الْعَقِيدَةِ؛ فَقَدْ جَاءَ لِيُحَرِّرَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَجَاءَ لِيَقْضِيَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالْعَصَبِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَنْشُرَ بَدَلًا مِنْهَا الْأَخْلَاقَ الْقَوِيمَةَ الْحَمِيدَةَ، جَاءَ لِيَقْضِيَ عَلَى كُلِّ مَظَاهِرِ الْفَسَادِ الِاقْتِصَادِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيُؤَصِّلَ بَدَلًا مِنْهَا كُلَّ مَا هُوَ حَسَنٌ، وَكُلَّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْهَضَ بِالْأُمَّةِ، وَيَجْعَلَهَا رَائِدَةَ الْعَالَمِ كُلِّهِ(١).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ وَاجِبَنَا تِجَاهَ مَا يَحْصُلُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ أَنْ نُصْلِحَهُ بِقَدْرِ مَا نَسْتَطِيعُ، وَذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ، وَمُجَاهَدَةِ الْأَنْفُسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَبِذَلِكَ يَكْثُرُ الْخَيْرُ وَيَعْظُمُ، وَيَقِلُّ الشَّرُّ وَيَصْغُرُ -بِإِذْنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا-، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦-١١٧].

---

(١) مختصر من مقال: «خطر الفساد علىٰ البلاد».

يَقُولُ تَعَالَىٰ: فَهَلَّا وُجِدَ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ يَنْهَوْنَ عَمَّا كَانَ يَقَعُ بَيْنَهُمْ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ: قَدْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ هَذَا الضَّرْبِ قَلِيلٌ، لَمْ يَكُونُوا كَثِيرًا، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْجَاهُمُ اللهُ عِنْدَ حُلُولِ غِيَرِهِ، وَفَجْأَةِ نِقَمِهِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ -تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْأُمَّةَ الشَّرِيفَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٤].

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكِرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ؛ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**»؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ أَيْ: اسْتَمَرُّوا عَلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ إِنْكَارِ أُولَئِكَ حَتَّىٰ فَجَأَهُمُ الْعَذَابُ ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

ثُمَّ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَمْ يُهْلِكْ قَرْيَةً إِلَّا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِنَفْسِهَا، وَلَمْ يَأْتِ قَرْيَةً مُصْلِحَةً بَأْسُهُ وَعَذَابُهُ قَطُّ حَتَّىٰ يَكُونُوا هُمُ الظَّالِمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [هُودٍ: ١٠١]، وَقَالَ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٦١).

إِنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ بِمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ نَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَنَفْيُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فَلَا يَتَحَقَّقُ الصَّلَاحُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَنْتَفِي الْفَسَادُ مِنْهَا إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ فِيهَا، الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلْقَ، فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَىٰ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا هُوَ: تَحْقِيقُ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَبِهِ تَتَحَقَّقُ الْمَصْلَحَةُ، وَبِهِ تَنْتَفِي الْمَفْسَدَةُ.(*).

لَا يَجْمَعُ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُوَحِّدُ صُفُوفَهُمْ، وَلَا يُعْلِي شَأْنَهُمْ إِلَّا اجْتِمَاعُهُمْ عَلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

وَلَا يَسْتَتِبُّ الْأَمْنُ، وَلَا يَحُلُّ الِاسْتِقْرَارُ إِلَّا إِذَا اسْتَقَرَّ التَّوْحِيدُ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

فَلَا يَسْتَتِبُّ الْأَمْنُ، وَلَا يَحْصُلُ الِاسْتِقْرَارُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَنَفْيِ الشِّرْكِ.

وَهَذِهِ الْمَطَالِبُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ مِنَ الِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ لِلدِّينِ، وَالْإِتْيَانِ بِالْأَمْنِ، كُلُّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ: ١٤٣٨هـ (فِئْرَانُ السُّدُودِ) - الْأَحَد ١ مِنْ شَوَّال ١٤٣٨هـ| ٢٥-٦-٢٠١٧م.

فَلَا تَجْتَمِعُ كَلِمَةُ الْأُمَّةِ، وَلَا يَصِحُّ بِنَاؤُهَا إِلَّا عَلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَإِلَّا عَلَىٰ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الصَّحِيحَةِ.

أَمَّا إِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ، وَتَفَشَّتِ الْبِدَعُ وَالْخُرَافَاتُ، وَقِيلَ: اتْرُكُوا النَّاسَ أَحْرَارًا فِي عَقَائِدِهِمْ، لَا تُنَفِّرُوهُمْ، وَلَا تُبَدِّدُوا جَمْعَهُمْ!! إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ؛ حَصَلَ الِاخْتِلَافُ، وَحَصَلَ التَّفَرُّقُ، وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَهَىٰ قُوَّتَهُمْ، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي الدُّنْيَا الْيَوْمَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا أَرْسَلَ نَبِيَّهُ ﷺ؛ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَامَ بِهِ، وَنَظَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ؛ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الدَّيَّارَاتِ وَالصَّوَامِعِ وَالْبِيَعِ، كَانُوا قَدْ قَرَءُوا الْكِتَابَ الْأَوَّلَ، وَيَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِشِيَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَهُ، وَأَطْبَقَتِ الْأَرْضُ عَلَىٰ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، وَدَعَا إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَانْصَاعَتْ قُلُوبٌ إِلَىٰ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَأُسِّسَتِ الْمِلَّةُ عَلَيْهِ، وَانْتَشَرَ التَّوْحِيدُ فِي الْأَرْضِ؛ عَمَّ فِيهَا الْخَيْرُ، وَقَلَّ فِيهَا الشَّرُّ.

وَكَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ -كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه-: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ؛ فَطُوبَىٰ للغرباء**».

كُلَّمَا بَعُدَ الْعَهْدُ عَنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ؛ كَثُرَ الشَّرُّ، وَقَلَّ الْخَيْرُ.

---

(١) «صحيح مسلم»: ١/ ١٣٠، رقم (١٤٥).

إِنَّ الْعَرَبَ قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ مُتَشَتِّتِينَ، عِنْدَهُمْ ثَارَاتٌ وَغَارَاتٌ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ اسْتَجَابُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ، تَوَحَّدُوا، وَصَارُوا قُوَّةً هَائِلَةً فِي الْأَرْضِ، سَادَتِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

اللهُ جَلَّوَعَلَا بَيَّنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ حَالَهُمْ قَبْلَ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ بَعْدَ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَاسْتَجَابَتِهِمْ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قَبْلَ الْبَعْثَةِ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، وَكَانُوا مَطْمَعًا لِشُعُوبِ الْأَرْضِ، كَانَتْ تُسَيْطِرُ عَلَىٰ الْعَرَبِ فَارِسُ وَالرُّومُ، وَكُلُّ دَوْلَةٍ مِنْ دُوَلِ الْكُفْرِ كَانَ لَهَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَصِيبٌ.

فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ، وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ؛ انْعَكَسَ الْأَمْرُ، فَصَارَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ بِالْإِسْلَامِ تُسَيْطِرُ عَلَىٰ الْعَالَمِ، وَامْتَدَّتِ الْفُتُوحُ، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «لَا يُصْلِحُ آخَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا، وَقَدْ أَصْلَحَ أَوَّلَهَا الْإِيمَانُ وَالْيَقِينُ»(١).

---

(١) «**مجموع الفتاوىٰ**» لابن تيمية: ١/ ٢٤١ و٣٥٣، و٢٤/ ٣٥٨، وأخرجه الجَوْهَرِيُّ المالكي في «**مسند الموطأ**»: رقم (٧٨٣)، وابن عبد البر في «**التمهيد**»: ٢٣/ ١٠، =

هَذِهِ الْأُمَّةُ إِذَا أَرَادَتْ الِاجْتِمَاعَ، وَأَرَادَتِ الْقُوَّةَ، وَأَرَادَتْ الِائْتِلَافَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا، وَالَّذِي أَصْلَحَ أَوَّلَهَا هُوَ التَّوْحِيدُ.

لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا التَّوْحِيدُ، وَالِاجْتِمَاعُ عَلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، الِاجْتِمَاعُ عَلَىٰ كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

فَالَّذِي يَجْمَعُ الْأُمَّةَ: الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وَالْهُدَىٰ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَدِينُ الْحَقِّ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْتَمِعَ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَسَاسُ ذَلِكَ: التَّوْحِيدُ، وَإِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ.

وَالْأَنْبِيَاءُ هُمُ الْمُصْلِحُونَ حَقًّا.. هُمُ الْمُصْلِحُونَ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ بَعَثَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَقْوَامِهِمْ، وَقَدْ تَفَشَّتْ فِيهِمُ الْأَمْرَاضُ فَوْقَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ.

كَانَتْ عِنْدَهُمْ -أَيْضًا- أَمْرَاضٌ تَتَعَلَّقُ بِسِيَاسَاتِهِمْ، وَتَتَعَلَّقُ بِاقْتِصَادِهِمْ، وَتَتَعَلَّقُ بِمُجْتَمَعَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

=

بإسناد صحيح، عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ يَقْعُدُ إِلَيْنَا، ثُمَّ لا يَقُومُ أَبَدًا حَتَّىٰ يَقُولَ لَنَا: «إِنَّهُ لا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا»، قُلْتُ لَهُ: يُرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: «يُرِيدُ التَّقْوَىٰ».

وَمَعَ ذَلِكَ؛ لَمْ يَبْدَأْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا رَسُولٌ مِنَ الرُّسُلِ -وَهُمُ الْمُصْلِحُونَ حَقًّا، وَهُمُ الْمُصْلِحُونَ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ-؛ لَمْ يَبْدَؤُوا دَعْوَةَ أَقْوَامِهِمْ بِشَيْءٍ قَبْلَ تَوْحِيدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَلَنَا فِيهِمُ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْقُدْوَةُ الصَّالِحَةُ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْت ١٥ مِنَ الْمُحَرَّم ١٤٣٣هـ| ١٠-١٢-٢٠١١م.

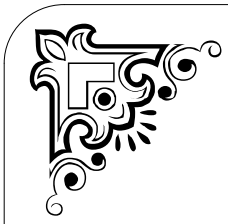

اتَّقُوا اللهَ فِي أُمَّتِكُمْ!

عَلَيْنَا أَنْ نَتَّقِيَ اللهَ -تَعَالَىٰ- فِي أُمَّتِنَا، وَفِي أَرْضِنَا الْمُسْلِمَةِ الَّتِي أَقَامَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهَا، نُدَافِعُ عَنْهَا إِلَىٰ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا، فَنَحْنُ نُدَافِعُ عَنْ إِسْلَامِنَا، نُدَافِعُ عَنْ دِينِنَا، نُدَافِعُ عَنْ وُجُودِنَا إِلَىٰ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا، وَإِلَىٰ آخِرِ مَا فِي عُرُوقِنَا مِنَ الدِّمَاءِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْحِفَاظُ عَلَىٰ الْمَالِ وَحَتْمِيَّةُ مُوَاجَهَةِ الْفَسَادِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٤٢هـ| ١١-١٢-٢٠٢٠م.

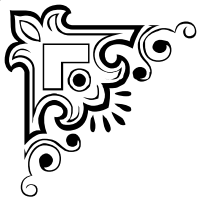

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

مُهِمَّةُ إِعْمَارِ الْأَرْضِ..... ٤

نَهْيُ الْقُرْآنِ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ ٩

مَعْنَىٰ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ ١٣

نَمَاذِجُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ ١٥

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ بُغَاةِ الْفِتْنَةِ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ..... ٢٠

مِنْ صُوَرِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ..... ٢٣

مِنْ أَخْطَرِ صُوَرِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ: الشِّرْكُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..... ٢٨

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ..... ٣٦

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: نَشْرُ الْبِدْعَةِ..... ٤١

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: ارْتِكَابُ الْمَعَاصِي..... ٤٥

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: نَشْرُ الْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ ٥١

مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: السِّحْرُ ٥٤
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَإِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ ٥٩
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْإِرْهَابُ زَعْزَعَةُ الْأَمْنِ وَإِشَاعَةُ الْفَوْضَىٰ ... ٦١
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الْخُرُوجُ عَلَىٰ الْحُكَّامِ ٦٩
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: اعْتِدَاءُ الْجُهَّالِ عَلَىٰ ثَوَابِتِ الدِّينِ ٧٥
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ: عَدَمُ الِاهْتِمَامِ بِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ..... ٨٣
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ: الِاتِّجَارُ فِي الْمُخَدِّرَاتِ والْإِدْمَانُ..... ٨٦
مِنْ صُوَرِ الْإِفْسَادِ: التَّفْرِيطُ فِي الْأَمَانَةِ ٨٧
عَوَاقِبُ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ عَلَىٰ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ ٨٩
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ..... ١٠١
سُبُلُ مُحَارَبَةِ الْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ ١٠٨
اتَّقُوا اللهَ فِي أُمَّتِكُمْ!..... ١١٥
الْفِهْرِسُ ١١٧